**بقلم: محمود سعد عبيدات

الشيخ قدر المجالي، المستحوذ على إعجاب أولي الافهام التاريخي، هو أحد مشاهير القرن العشرين بسنواته الأولى، الحقبة الأخصب بثوراتها وتبدلاتها، وبمحنها وصعوباتها، فخاض غمارها وكتفاه مثقلان بأعباء السنين، وجفناه مغبران من نقع القهر، وجناحاه متعبان من وطأة الغربة والنفي والإبعاد والتخفي عن الأرض التي أحبها، والكرك التي ثار من أجلها ومن أجل حرية ناسها وقدسية ترابها، تأبط سيفه ونفسه تجتر ويلات الذبح والإعدام بحق بني قومه وفرسان عشيرته خلال الثورة وبعدها، عاش المحنة بكل تفاصيلها. لكنها لم تثنه عن متابعة مشوار الجهاد والكفاح، حتى تربع على عرش الشهادة الذي لا يبنى إلا لأولئك الشهداء الذين قالوا: أشرف أنواع الموت أن يكون من أجل الله والوطن .
والحديث عن الشيخ قدر، هو الحديث عن الوطن بهمومه الوطنية والقومية، وبكل ما يعني هذا التعبير من معاني شرف الانتماء للامة. فكان شيخنا رمحاً لا ينكسر وسيفاً لا يغمد وشجاعاً لا ينام على مذلة، تراه الشمس مع أول إشراقة لها، يسبح لله العلي القدير ويرجو منه إبعاد الأذى عن بني قومه ووطنه، وعندما تكون الواقعة بحاجة إلى الشجاعة وح&#245;سن الاختيار، كان شيخنا على موعد مع الفعل، يصنع القرار ويأخذ من وحي إرادة الأهل والعشيرة والوطن، يتفاعل مع الحدث بروحية القائد الحكيم، ولا ينفعل به كحدث عابر الغرض منه الاستفزاز وآنية النتائج. وكان أعلى من كل السفاسف، وصدره أرحب من كل المروج، ترفّع عن النزق والصغائر، فكانت تلك الخصائل بعروقه، وشبت معه، فأصبحت بعضاً من مكونات شخصيته القوية والمتواضعة أيضاً.
كانت يداه تمسكان دائماً بالحلقة المركزية الأهم، فتعرف من خلال ذلك على الاتجاه الصحيح فقد كان بوصلة دقيقة تؤشر على المهمات والمخاطر، لم تعتريه عصبوية، ولم تتملكه رؤية ضيقة على حساب الموقف الوطني، شجاعاً واضحاً كحد السيف، يناضل بثبات دفاعاً عن الحقوق وشرعية الوجود، أعلن الثورة الكركية عام 1910م لأنها في رؤيته الرد الثوري والجهادي على تجاوز السلطات الانقلابية الجديدة بقيادة حزب الاتحاد والترقي العنصري.
لم يكن المجالي مناضلاً كركياً أردنياً فحسب، بل كان مناضلاً عربياً إسلامياً، تجاوز حدود الأردن وبلاد الشام عندما تبنى النواب العرب في البرلمان العثماني مطالبه وأغراضه من الثورة، حتى أن القنصل الفرنسي في دمشق وصف ثورة الكرك بالثورة القومية وليس من أجل الغطرسة والظهور والعتب على السلطان كما زعم الفاروقي قائد الحملة على الكرك، وصدق المؤرخ العربي محيي الدين السفرجلاني الذي قال: إن الحد الأدنى من محفزات الشيخ قدري المجالي يعتبر وعياً وليس انعكاساً شرطياً، ولو كان هذا الوعي مجرد انفعالات حسية، فكان جنونه الثوري حتمية تاريخية...

موقف الشيخ قدر من الثورة العربية الكبرى:
يقول المناضل اللبناني (أسعد داغر) أحد زعماء الجمعية العربية الفتاة:
أستطيع أن أجزم الآن بأنه لم يكن بين العرب يوم إعلان الحرب من فكّر بالانتفاض على الترك أو الإساءة إليهم، بل كان تفكيرهم كله منصباً على محاولة منعهم من الاشتراك فيها، والتعاون معهم على اجتناب ويلاتها ودرء أخطارها وقال الأمير سعيد الجزائري في مذكراته جهاد نصف قرن صفحة 54 ... ولا يجوز للشريف الحسين بن علي ابن رسول الله، إلا أن يكون على وفاق مع الخليفة العثماني
حاربت عشائر الكرك جيش الثورة العربية الكبرى بقرار من الشيخ قدر المجالي، ثم حاربت هذه القوات الشعبية الكركية الجيش التركي إلى جانب قوات الجيش العربي الشمالي (الجيش الفيصلي) في عدة معارك، وأبلى فيها المقاتل سعود المجالي (أبو هزاع)بلاء جيداً ومشهوداً، ولكن لماذا عاتب الملك فيصل يوم 8/آذار/1920 الشيخ رفيفان المجالي على تقصير العشائر الكركية وعدم مشاركتها بفاعلية بمعارك تحرير الجنوب الأردني، وتسهيل انسحاب القوات التركية من الكرك؟!.
ليس موضوعنا الحديث عن الثورة العربية الكبرى، بل الحديث عن موقف الشيخ قدر المجالي والزعامات الكركية من الثورة وقائدها الشريف الحسين بن علي، وبخاصة بعد الاتفاق الذي تم بين المجالي والجنرال محمد جمال باشا، والذي كان قبل إعلان الثورة بأشهر قليلة، وقد أشرنا إلى هذا الاتفاق في الحلقة الماضية.
بعد احتلال العقبة أصبح جيش الثورة على أبواب الكرك، وهذا النجاح العربي الذي تحقق، وبخاصة بعد معارك (أبو اللسن) أحدث أثره البالغ في نفوس الأهالي، ومنهم من سارع بالالتحاق بالجيش الشمالي الفيصلي ومنهم من قابلها بالشكوك وخدع بالدعاية الألمانية - التركية التي كانت تقول: بأن الأمير فيصل جاء ليمهد الطريق للأجانب الكفار أعداء العروبة والإسلام ولكن مناشير وبيانات الثورة العربية الكبرى خففت من حجم الدعاية الألمانية التركية، ولكن الشيخ قدر المجالي لم يغير موقفه بعد، ويبدو أن مناشير الثورة لم تصل بعد إلى الكرك، فاستغل الجنرال محمد جمال باشا ذلك، فجاء إلى الكرك من أجل تنفيذ الاتفاق الذي وقعه مع الشيخ قدر المجالي في الكرك، وحاول إقناع الشيخ قدر بأن جيش الثورة العربية الكبرى، ما هو إلا مجموعات عشائرية بدوية حجازية تدعمها قوات إنجليزية وفرنسية هدفها غزو المنطقة واحتلالها، وأن التصدي لهذه المجموعات مسؤولية كل ما هو عثماني وفي المقدمة عشائر الكرك، وما تحرك عشائر بن صخر والدولة إلا من باب النخوة لمساعدة ثوار الكرك، وستشارك عشائر البلقاء بالهجوم المشترك على المجموعات الحجازية .وأفهمه الشيخ قدر المجالي بأن خيالة الكرك سيدافعون عن الكرك من أي غزو خارجي، ولن تخرج هذه القوات خارج حدود لواء الكرك.
انتقل محمد جمال باشا إلى معان بعد تحرير (أبو اللسن) وطلب من متصرف الكرك حض الأهالي على القيام بالهجوم على القوات العربية، كما أبرق إلى الشيخ قدر المجالي يشحذ همته ويذكره بالاتفاق الذي عقده معه في الكرك في مطلع عام 1916م، ويخبره بأن القوات العسكرية من خيالة ومشاة ومدفعية وطائرات ستشترك في هذه الحملة وبين له أن معظم العشائر البدوية بقيادة الشيخ حمد بن جازي ستشارك بالهجوم على الغزاة ، وعن استجابة الشيخ قدر المجالي لبرقية قائد الفرقة الثامنة الجنرال محمد جمال باشا يقول الشيخ هايل ودعان المجالي: وقد أثرّ محمد جمال على الشيخ قدر الذي لم يعرف بعد نوايا وأهداف الثورة العربية الكبرى، كما أن متصرف لواء الكرك (تحسين بك) أثر على مشايخ الكرك عندما قال لهم: إن العشائر الحضرية والبدوية من مناطق معان والطفيلة والبلقاء تستعد للتجمع في معان ثم الزحف باتجاه (القويرة) للقضاء على الغزاة القادمين من الحجاز، وقال لهم أيضاً: يعز على السلطان أن يرى أهل الكرك في غير مواقع الدفاع عن بلدهم...وأشار (تحسين بك) إلى أن الشيخ حمد بن جازي يأمل أن يرى الشيخ قدر في معان على راس القوات الكركية... .
- التوجه إلى معان وكشف الخداع التركي:
قرر الشيخ قدر المجالي بعد التشاور مع مشايخ الكرك الاشتراك بالحملة، فاجتمع حوالي /500/ فارس في دار الحكومة وسارت هذه القوات بعد وداعها من قبل مشايخ الكرك إلى معان للالتحاق بالقوات العشائرية الأخرى وفي معان قدمت السلطات العسكرية التركية لهذه القوة بعض المؤن وعتاد البنادق، ووزعت عليهم مبلغاً من المال، ثم غادرت الحملة معان يوم 17/تموز/1917م، إلى موقع (وهيدة)، حيث التحق بها الشيخ حمد بن جازي ومعه مجموعات من فرسان الجازي(الفرع الثاني من قبيلة الحويطات)، كما التحق بها بضعة هجانة من بني صخر، وثلاثة ضباط من الأتراك لتنظيم الحركات الحربية، وتحركت القوات الشعبية والعشائرية من (الوهيدة) إلى (الغويلة) ومنها شنوا هجوماً على جماعة من البدو المناصرين للثورة قريباً من (القويرة)، وكانت هذه الجماعة البدوية مكونة من فرسان (التوايهة) جماعة الشيخ عودة أبو تايه، ودام التحام الفريقين مدة ثلاث ساعات، فقتل من (التوايهة) تسعة فرسان، وفرّ الباقون، واستولى فرسان العشائر على مواشيهم وهي تقارب ألف رأس من الغنم، كما استولوا على بعض الجمال وعلى عشرة من بيوت الشعر وما فيها من مؤن وأثاث.
لم يشترك الشيخ حمد بن جازي في هذا الهجوم لشكه بأن هؤلاء البدو ليسوا من المحاربين، بالإضافة إلى اكتشافه أن هؤلاء البدو هم من أقاربه التوايهة، وكان الخلاف لا يزال قائماً بين الجازي والتوايهة، واكتشف أيضاً اللعبة التركية التي صنعها الجنرال محمد جمال باشا، الذي دفع العشائر للاشتباك ببعضها، وإيقاع العداء من جديد بين القبائل العربية، كما أن فرسان الصخور توقفوا عن ملاحقة (التوايهة) بعد اكتشافهم الفتنة الخبيثة القائمة على المكيدة وسفك الدم العربي بأيد عربية ، وبعد فوات الأوان فطن فرسان الكرك لهذه المكيدة وبخاصة بعد أن عرفوا أن القوات التركية النظامية لم تشترك في الهجوم، كما تم الاتفاق، ولهذا قرروا العودة إلى معان ومنها إلى الكرك، حيث وضعوا الشيخ قدر المجالي وبقية مشايخ الكرك في صورة ما حدث، فأمر الشيخ قدر أن تبقى هذه القوات بكامل جاهزيتها و التحاقها بالجيش الشمالي (الجيش الفيصلي)، وعين بركات وسعود المجالي قادة لهذه القوات، والتحقت قوات الكرك بالجيش الفيصلي، وشاركت في معارك وتحرير محطة القطرانة، ومحطة الفريفرة، ووادي الحسا، وجرف الدراويش، وعنيزة، وغيرها من المعارك التي كانت بقيادة الشريف ناصر، وفي تلك الظروف وزمنها الصعب كانت الكرك بكافة عشائرها تعيش مأساة فقدان الشيخ قدر المجالي في دمشق.
- إعدام الشيخ قدر المجالي بالسم:
في أيلول /1917م، أرسل جمال باشا يدعو شيوخ شرقي الأردن للتوجه إلى دمشق لكي يحلوا ضيوفاً على الحكومة هناك، ويبدو أن الحكومة خشيت أن يقوم أهل البلاد في وجهها تعاوناً مع الثورة العربية الكبرى، ولا بد أن أنباء اتصالات الأمير فيصل مع بعض الشيوخ قد نمت إلى المسؤولين الأتراك، فأرادوا الاحتياط لذلك، وقد لبى الدعوة عدد كبير من الزعماء، وبعد أن قضوا مدة في دمشق فوجئوا باعتقال عدد منهم، كالشيخ قدر المجالي، والشيخ حتمل بن زبن، والشيخ تركي بن حيدر الزبن، والشيخ عبطان الفايز، والشيخ شهاب الفقير، وقد وجهت إلى المشايخ تهمة الاتصال بالأمير فيصل وقبول هدايا وأسلحة، ونقودً أرسلها إليهم.
يقول المؤرخ سليمان العيسى نقلاً عن مذكرات المرحوم عودة القسوس صفحة 55 مايلي: ولم تستطع الحكومة إثبات التهم، فلم تلبث أن أطلقت سراحهم، ولكن الشيخ قدر المجالي لم يلبث أن توفي، وقيل أن الأتراك دسوا له سماً في طعامه، وقيل في فنجان القهوة صباحاً.... وجاء في كتاب العمليات الحربية، القسم الثاني من الجزء الثاني صفحة 217 مايلي: وحتى مطلع تشرين الأول 1917م، كانت الأمور عادية جداً، بل لاقوا الاحترام والتقدير والضيافة من الوالي ومن حاكم سوريا جمال باشا شخصياً، وكان يتردد على مكان إقامتهم الأمير سعيد الجزائري وشخصيات أخرى شامية كانت مع الجزائري تسعى للصلح بين العرب والأتراك على قاعدة الاعتراف التركي بالاستقلال العربي، وكانت الخطة تقتضي إستمالة زعماء العشائر بأموال الألمان التي سينفقها الجنرال الألماني (فالكنهاين)، وقال جمال باشا: بأن سلامة الدولة تكمن في شراء وإسكات زعماء البلاد، والذي لا يقبل منهم (الرشوة) مصيره الموت ، وكان الشيخ قدر أول الضحايا، وأول من رفض الرشوة من زعماء ووجهاء بلاد الشام، فكيف تم قتله بالسم؟، المرافق الخاص للشيخ قدر المجالي والذي كان برفقته إلى دمشق وهو السيد (سليمان السعيد) يقول في شهادته المحفوظة في أوراق الشيخ هايل المجالي مايلي: وفي صباح ذات يوم، قدمت قهوة الصباح للشيخ قدر ولم تمض ساعات قلائل حتى أصيب بوعكة صحية أفقدته كامل قدرته على التحرك، مع آلام شديدة في بطنه، فنقل إلى المستشفى، ثم لم يلبث أن فارق الحياة، وقد أكد الدكتور الذي كان يشرف عليه أن أعراض السم كانت بادية على جسده، وهذه خطة جمال باشا لتصفية شيخ مشايخ الكرك، بعد جرأته وشجاعته مع الأتراك، وكان يقينهم أنه غير برئ من التهم وهي اتصالاته مع الأمير فيصل بن الحسين... .
أما الشهادة الأكثر وضوحاً وتفسيراً هي شهادة الشيخ تركي بن حيدر الزبن وهي المعروفة لدى كبار السن في الكرك، وكنت قد طلبت توضيحاً من الشيخ هايل المجالي حول شهادة الشيخ حيدر الزبن، فحصلت عليها خطياً..يقول الشيخ تركي:
بينما كنا في حضرة الحاكم التركي في الشام، وعدد من الشيوخ ومن ضمنهم الشيخ قدر المجالي شاهدت عسكرياً عربياً بباب قاعة الاجتماع يؤشر لي بوضع سبابة يده اليسرى على رقبته وتمريرها ويمد يده اليمنى كمن يقدم لي شراباً...وبعد قليل دخل شخص آخر يحمل القهوة العربية وفناجينها، وعندها فهمت إشارة ذلك العسكري العربي، وحاولت جهدي أن ألفت انتباه الشيخ قدر إلا أن شربه لفنجان القهوة سبق تمرير فحوى الإشارة، وعندما جاء دوري تظاهرت بشربها، حيث وضعت فنجان القهوة ما بين فتحة ثوبي وصدري بدلاً من شربها .
وبين الشيخ تركي في حديثه لمشايخ الكرك بعد عودته من دمشق ودفن الشيخ قدر في مقبرة الشيخ (رسلان) جنوب شرق دمشق معاناة الشيخ قدر لبضع ساعات بعد تناوله السم، فكان يصرخ بأعلى صوته، ويشد على بطنه، حتى أغمي عليه، وخرج من فمه السائل الأصفر، الممزوج بالقهوة، وعرف الطبيب الذي حاول إنقاذه أن السم انتشر في أحشائه، فلا أمل من إنقاذه .
وتساءل الشيخ تركي: لماذا كنت أنا والشيخ قدر هدف السفاح جمال؟؟، لم تكن تهمة الاتصالات مع الأمير فيصل هي السبب الأكبر والمهم، بل المهم والسبب الأكبر ثورة الشيخ قدر على الأتراك عام 1910م، وكنت أنا وعشيرتي من المؤيدين لها، ودعمناها بالسلاح، لذلك كنت شريكاً له في الموت لولا إرادة الله وهذا العسكري العربي أخيراً.... .
لم يكتف جمال السفاح بهذه الجريمة النكراء بحق الشيخ قدر، بل مارس أساليب الغدر بمشايخ ووجهاء لواء الكرك فأمر بإلقاء القبض على مجموعة منهم ونفاهم إلى بلاد القفقاس ولم يعودوا إلا بعد عام 1918م، ونذكر منهم: عودة القسوس، وخليل العكشة، وعبدالله العكشة، وعبدالرحمن ماضي، ومحمد عبدالجواد، وأحمد ماضي، ومطلق المفلح، وصالح البخيت وغيرهم.
وعندما علم الشاعر عبد الله العشكة بإعدام الشيخ قدر وهو في منفاه قال قصيدة من أربعين بيتاً يذكر فيها محاسن الشيخ قدر ورجولته وشجاعته ومؤهلاته القيادية من حكمة وسداد في الرأي والموقف.

- رحلة طويلة بمحطاتها الكثر قضيتها مع واحد من مشاهير شعبنا، ورمزً من رموز هذا الوطن الحبيب، وجمعت خلالها أكثر من /600/ صفحة بمساعدة أخوة كرام من أبناء الكرك ونحن في ختام رحلتنا يشرفني أن اشكر الذين تابعوا هذه الحلقات والحلقات التي قبلها، وكانت موضع تقديرهم، وتقدير الجهد الذي بذلته لتكون عبرة لمن يعتبر ومنهم دولة الأستاذ أحمد عبيدات، ودولة النائب عبدالرؤوف الروابدة، والدكتور أحمد التل، والدكتور محمد الزعبي، وشخصيات كثيرة من عشائر الكرك ومعان، والشوبك، وطلاب جامعة مؤتة، واليرموك والأردنية، وكل الشكر لأسرة جريدة اللواء صاحبة الهم الوطني والقومي والإنساني.

موقف الشيخ قدر من الحرب العالمية الأولى:
كان اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914 م، مؤشراً لنهاية توازن عالمي نشأ في أعقاب سقوط نابليون الأول ، وتم تعديله في مؤتمر باريس عام 1856م، ومؤتمر برلين عام 1878م، حيث كان يتم باستمرار إضافة عوامل جديدة إلى تركيبة التوازن كبروز القوة الألمانية ونمو الوعي القومي في أنحاء متعددة من أوروبا، ومع الجهود الدبلوماسية المكثفة لاستيعاب المستجدات والسيطرة على التناقضات عبر اقتسام الأوروبيين للعالم الآخر ، فإن بعض المعطيات التي كانت عصيّة على المعالجة، شكلت الأسباب المباشرة التي أشعلت الحرب ومن بينها، تفاقم الصراع حول بلاد الشام، حيث لم تكن التنازلات العثمانية المقدمة باستمرار لتشبع نهم المصالح الأوروبية التي زادها حدة اكتشاف النفط في البصرة والموصل والمحمرة، فبعد المناورات الحادة التي رافقت مشروع سكة حديد بغداد والتي انتهت بانتصار ألماني عمدت بريطانيا لتطويق أهمية هذا الإنجاز من خلال الاستيلاء على ساحل الخليج العربي وربط الدويلات القائمة هناك بمعاهدات الحماية، وتمكنت من حمل تركيا على الاعتراف بهيمنتها عام 1913م، بموجب معاهدة الخليج والتي تنازلت فيها تركيا لبريطانيا عن كامل حقوقها في تلك المنطقة، ناهيك عن النشاط المكثف لفرنسا والذي تركز في سوريا الغربية، إضافة للمشاريع التي أصبحت تطرح بصوت مرتفع حول فلسطين، من تقسيم إلى تحويلها لكيان دولي، حيث أصبحت السلطات التركية تبدي الكثير من الليونة تجاه المسألة، بعد خلع السلطان عبدالحميد، على الرغم من تصدي الأعضاء العرب في البرلمان العثماني مجلس المبعوثان للمبادرات الصهيونية بشكل عنيف، ،في هذا الصدد تقول المؤرخة الفرنسية (غواشون) كانت القدس عبر التاريخ عقدة السلام والحرب وحيز جوهري لمجمل الحياة البشرية .
كان الشيخ قدر المجالي من أكثر زعماء الأردن معرفة بالنوايا الصهيونية تجاه فلسطين، وذلك عن طريق النائب توفيق المجالي الذي يحتفظ بوثيقة أحضرها معه من استانبول، ووضعها بتصرف الشيخ قدر لتكون حجته على الأتراك، وهذه الوثيقة هي رسالة السفير البريطاني في إستانبول إلى وزارة الخارجية البريطانية، وتحمل الرقم 371/1249/9858/ لعام/190 م/ في الوثائق البريطانية وكانت موضع المناقشة بين الشيخ قدر المجالي والجنرال محمد جمال باشا حول إعلان تأييد زعماء الكرك للدولة العثمانية في حربها إلى جانب ألمانيا ضد دول ما سميت بالحلفاء، ومحمد جمال هذا هو غير جمال باشا السفاح، وهذا نص الوثيقة البريطانية:
...بعد أن أزيح عبد الحميد الخصم الدائم للصهيونية بدأ اليهود يلعبون دوراً في العاصمة (إستانبول)، وأصبح لهم تأثير في الصحافة والأعمال والبنوك ووظائف الدولة، وهكذا أخذت الدولة تعرف بدولة اليهود...وقد تشاجر (دافيد) وزير المالية مع البنك العثماني من أجل قرض لمجموعة معظمها من اليهود، وأن يهود (سالونيك) وعددهم كبير مائة ألف رجل، هم المسؤولون عن بناء المحفل الماسوني وهم الذين أغروا جمعية الاتحاد والترقي بالاتصال بالمحافل، وهكذا أخذ التأثير اليهودي على الاتحاد والترقي.....
أنكر الجنرال محمد جمال معرفته بهذه الوثيقة، وشدد على ضرورة المشاركة في الدفاع عن الخلافة الإسلامية المهددة من قبل الحلفاء، وأن ألمانيا لا أطماع لها في البلاد الإسلامية ولم يحصل بداية على قرار التأييد من قدر المجالي.
ترطيب
وكانت القيادة التركية بحاجة إلى ترطيب الأجواء مع الجهات التي أساءت إليها قبل أربع سنوات، وفكرت في استرضائها خوفاً من ردود الفعل عندها، والوقوف ضد (دعوة الجهاد المقدس) التي دعا إليها السلطان باسم الخلافة الإسلامية، فأسرع قائد الفيلق الشامي (الجنرال زكي باشا) بإرسال رسالة إلى (أنور باشا) وزير الحربية، يخبره بحساسية الموقف في حوران ولواء الكرك، وطلب منه أن يجتمع بنواب هذه المناطق وبالتحديد مع النواب: عبد الرحمن اليوسف، وشكيب أرسلان، وسعد الدين المقداد، وتوفيق المجالي.
يقول المجاهد الكبير شكيب أرسلان (نائب جبل الدروز) في مذكراته صفحة 128 مايلي: كان الاجتماع مع وزير الحربية أنور باشا من أجل المحافظة على الهدوء في مناطق حوران وجبل العرب، ولواء الكرك، كون هذه المناطق من البؤر التي نالت النصيب الأكبر من الحرب عليها وتدميرها سنة 1910م، وطالب أنور باشا العضو توفيق المجالي حصراً بالسعي مع شيخ الكرك قدر المجالي بمنع الاضطراب والتعاون مع قائد الفيلق الشامي (زكي باشا)، وقائد الفيلق الثامن محمد جمال باشا من أجل السهر وجمع الكلمة.... .
تأثر توفيق المجالي بدعوة أنور باشا ولكنه لم يؤثر كثيراً على الشيخ قدر المجالي فماذا قال توفيق المجالي لعمه قدر المجالي؟؟.
اجتماع
اجتمع توفيق مع زعماء ومشايخ الكرك في ديوان الشيخ قدر المجالي، وبين لهم أن رجال الإصلاح العرب يقفون الآن مع توجهات الدولة ونسوا أو أجلوا خلافاتهم معها، لأن الخطر سيقع على الجميع وعلى البلاد العربية أولاً إذا كسرت تركيا في الحرب، والمطلوب من أهل الكرك أن يدافعوا عن مناطقهم باسم السلطان، والدعاء للأمة بالنصر، وتشكيل كوكبات من فرسان العشائر لحماية الأمن الداخلي ومنع الفتن والقلاقل .
- اتفاق الشيخ قدر المجالي مع الجنرال محمد جمال باشا:
يعود الجنرال محمد جمال قائد الفيلق الثامن التركي إلى الكرك من جديد بعد تسهيل مهمته من قبل النائب توفيق المجالي، وبتشجيع من الشيخ حسين الطراونة والوجيه عودة القسوس والشيخ إرفيفان المجالي، ويجتمع مع الشيخ قدر المجالي ومشايخ الكرك، حيث وضعهم في صورة الأوضاع العسكرية على جبهات القتال، وشرح لهم خطورة الموقف العسكري والواجب الملقى على كاهل كل عثماني بأن يقدم كل تضحية ممكنة ، وحول هذا الاجتماع يقول سليمان الموسى في كتابه (الأردن في القرن العشرين) صفحة (30)، نقلاً عن مذكرات عودة القسوس، أن الجنرال التركي طلب من الشيخ قدر المجالي أن يقدموا متطوعين للخدمة العسكرية لحماية الوطن العثماني والولايات العربية بشكل خاص .
وبعد حديث مطول عن الحرب وعن الجهاد المقدس، وعن راية الرسول صلى الله عليه وسلم التي طلب إحضارها من الحجاز السلطان لتكون راية الجيوش التركية وباسم الإسلام، والخلافة طلب الجنرال محمد جمال من الشيخ أن يسمعه رأيه وتأييده لدعوة السلطان وتثبيت ذلك خطياً...
مرة ثانية يفتح الشيخ قدر المجالي دفتر ذكرياته مع أحداث ثورة الكرك، ويذكر الجنرال محمد جمال بتلك الأحداث التي ما زالت آثارها الدموية في ذاكرة أهالي الكرك وباقي مناطق اللواء، على الرغم من مرور أربع سنوات على حدوثها، وبين له: أن خسارة أكثر من ألف رجل من الطرفين تشكل حتى بالمفهوم العشائري خسارة كبيرة تفتقد إليها الدولة في أوقات الحرب الخارجية، وتعد أيضاً ربحاً للعدو بدون خسائر ، وكشف له حقيقة الآلام التي تعتصر قلوب الأهالي على أبنائهم الذين قتلوا في الكرك وعلى مشايخهم الذين أعدموا في الكرك ومعان ودمشق على يد السلطات التي لم تحسب حساباً لمثل هذا اليوم العصيب الذي تشهده البلاد العثمانية .
وهاجم الشيخ قدر المجالي (سامي الفاروقي) قائد الحملات العسكرية على حوران والكرك، واتهمه بسرقة أموال الناس، وأن لا هدف له إلا إرضاء أسياده ليغطي سرقاته من أموال وذهب، ولكن الله أكبر وأعظم، فلن يمهله بالتنعم بأموال الناس .
ونشير هنا إلى أن سامي الفاروقي توفي سنة 1911م، أي بعد استكمال العدوان على الكرك بالجلطة الدماغية، يقول المؤرخ محمد كرد علي في مذكراته: كان رد الفعل عند سامي الفاروقي له أنواعه وأشكاله، ومن بين هذه الأشكال والأنواع، سرقة أموال الأهالي وجمعها عند أحد التجار في السويداء، وقد كانت هذه الأموال مختلفة الأنواع، منها الأثاث والأموال النقدية والذهب، والأغنام بكافة أنواعها، وقد كلف التاجر أن يبيعها، ويحتفظ بقيمتها لحين عودته إلى دمشق، ولكن فعل الله كان أقوى وأسرع، فقد توفي الفاروقي بعد أقل من سنة على حملاته العسكرية، وأنكر التاجر هذه الأموال على ورثته....إنها عبرة لمن يعتبر .
وعن رد الجنرال محمد جمال على اتهامات الشيخ قدر المجالي للقيادات العثمانية يقول المرحوم عودة القسوس في مذكراته: وكان الجنرال محمد جمال باشا ذكياً وسياسياً في رده على الشيخ قدر الصالح المجالي فلم يدن التصرفات العسكرية التي أقدم عليها الفاروقي ولم يؤيدها أيضاً، بل أشار إلى ظروف وطبيعة تلك المرحلة التي كانت تمر بها البلاد، وخاصة الظروف الانتقالية التي آلت بها السلطة إلى قيادة الثورة الاتحادية ضد السلطان عبد الحميد، كما أشار إلى المسؤولية المشتركة في الأحداث بين الأهالي والإدارة العثمانية في الكرك التي كانت دون المستوى في معالجة القضايا والأحداث الداخلية.... .
شروط
وبعد مناقشات مطولة بين الطرفين وافق الشيخ قدر المجالي ومعه مشايخ ووجهاء الكرك على إعلان التأييد للدولة في حربها ضد الحلفاء، وفق الشروط التالية:
أولاً: تتشكل فرقة من المتطوعين الخيالة لصالح المجهود الحربي العثماني، ويتم تدريبهم وتسليحهم من قبل الجيش العثماني، والعمل قدر الإمكان أن تكون عناصر التدريب على السلاح من الضباط والجنود العرب.
ثانياً: تكون مهمات هذه الفرقة الخيالة داخل حدود لواء الكرك حصراً، ولا يجوز للقيادة العسكرية استدراجها إلى مواقع خارجية إلا بعد الرجوع إلى الأهلين وقيادتهم العسكرية.
ثالثاً: في حال تعرض لواء الكرك إلى اعتداءات خارجية، تقوم فرقة الخيالة بالدفاع عن البلاد تحت لواء الدولة العثمانية، ويعد أفراد هذه الفرقة اعتباراً من تاريخ تشكيلها بتصرف قيادة جيش السلطان ضمن لواء الكرك حصراً...
رابعاً: يقوم الأهالي بمساعدة الجند التركي على قطع الأشجار غير المثمرة (الحرجية) ونقلها إلى محطات سكة الحديد، لتغطية وقود القطارات الموضوعة بتصرف الجيش للأعمال العسكرية.
خامساً: تقوم الإدارة والمؤسسات التابعة إليها بتأمين المواد الغذائية للأهيلن، وتقديم المساعدة اللازمة للفلاحين بدفع أثمان محاصيلهم الزراعية إذا اقتضت حاجة الدولة إلى محاصيل الفلاحين الزائدة عن حاجاتهم المعاشية والبذار السنوي.
سادساً: عدم التأثر بالدعاية المضادة التي تقوم بها أجهزة الحلفاء ضد الحليفة ألمانيا التي تحارب من أجل نصرة الدين الإسلامي والخلافة السنية الإسلامية!!!، وعدم السماح لقناصل بريطانيا وفرنسا بزيارة مناطق اللواء.
سابعاً: تعتبر صيغة التفاهم هذه بمثابة وثيقة رسمية تحترم من قبل الأطراف الموقعة عليها، وتختم بتوقيع الجنرال محمد جمال باشا، والشيخ قدر بن صالح المجالي، ويشهد عليها ثلاثة من زعماء البلاد ...
بدأت عشائر الكرك فعلاً بتشكيل فرقة الخيالة، وكان لها الدور المميز في بسط حالات الأمن إلى أن قامت الثورة العربية الكبرى، وانتشرت الدعاية بين الأهلين أن الإمبراطور الألماني أثنى على الدين الإسلامي، وأن الألمان يحاربون من أجل الإسلام ضد روسيا والحلفاء... وقال القنصل البريطاني في حلب بكتابه إلى حكومته رقم /28/2146/371/ مايلي: واستطاعت الدعاية الألمانية أن تستقطب حولها مجموعات كبيرة من الناس لأن هذه الدعاية كانت مرافقة بالنشاط الكبير للنواب العرب في مختلف الولايات، ووزعت مناشير بين الناس تحمل تواقيع عشرات الأسماء من مختلف البلاد الإسلامية صادرة عن جمعية العلماء الإسلامية تحض المسلمين على محاربة فرنسا وروسيا وإنكلترا، دفاعاً عن الإسلام، وفيها تأييد لألمانيا....
لقد تأثرت العشائر الكركية بالمواقف العربية والإسلامية وجاء في مجلة (الحرب العظمى المجلد رقم 1 الجزء 15، صفحة 16 مايلي: وفي لواء الكرك نجح الجنرال محمد جمال باشا قائد الفرقة الثامنة في التعبير عن حسن النوايا وتهدئة الخواطر، واكتساب ود العرب في لواء الكرك، ولعب نائب الكرك دوراً إيجابياً مساعداً حين نقل توجهات وتوجيهات حركة الإصلاح العربية،المؤيدة للدولة، إلى مشايخ الكرك وزعامتها العشائرية المرموقة..
وفي عام 1916 أعلنت الثورة العربية الكبرى لتقلب موازين التأييد والتفاضل في الحلقة القادمة

ثورة الكرك ومداخلات النواب العرب
يقول الدكتور جميل التوتنجي في مذكراته: إن المسلك الذي سلكته الحكومة العثمانية في إخماد ثورة الكرك والأساليب الوحشية التي اتبعتها في الإعدامات والسجن والنفي، ثم الغرامات التي فرضت على الأهلين واستمرار ملاحقة الشيخ قدر المجالي، دل على أن الهوة أصبحت عميقة بين الشعبين العربي والتركي، وهما يؤلفان أضخم عناصر الدولة العثمانية، فالأتراك كانوا يرون أن هذه العلاقة يجب أن تقوم على أساس فرض سيطرتهم المطلقة على العرب، وصبغهم بالصبغة الطورانية والقضاء على شخصيتهم ولغتهم وقوميتهم، بينما كان العرب يريدون تطوير تلك العلاقة من خلال المشاركة في إدارة الدولة، وهذا الصراع تبلور أكثر قبل وأثناء وبعد ثورة الكرك التي كانت بحق المقدمة التاريخية والسياسية لثورة الشريف الحسين بن علي عام 1916م، وكانت هذه الثورة الرد الأعظم على فعل الأتراك في الشوبك، وحوران، وجبل الدروز، وعاليه، وبيروت، ودمشق أخيراً .
لقد أثبت النواب العرب في مجلس النواب العثماني مقدرتهم السياسية في مناقشة النواب الأتراك، ومطالبتهم بالحقوق العربية الشرعية والمشروعة حسب الدستور العثماني، وكانت أحداث ثورة الكرك المحطة الرئيسية في كشف النوايا غير الحسنة تجاه العرب، فجاءت مداخلات النواب العرب تعبيراً صادقاً عن حالة النهوض القومي، فأثاروا الصغيرة قبل الكبيرة في معظم جلسات مجلس النواب التي عقدت في نهاية عام 1910 وبداية عام 1911م، وبينوا في مداخلاتهم أن الحكم العنصري الطوراني بقيادة حزب الاتحاد والترقي هو الذي يتحمل مسؤولية الحركة الثورية في الولايات العربية وآخرها ثورة الكرك، وسنختار بعض هذه المداخلات وباختصار وليس كما نشرت بالتفصيل في جريدة(المقتبس)ومذكرات محمد كرد علي، وجريدة (أقدام التركية)وغيرها .
رضا الصلح نائب بيروت:
قال نائب بيروت (رضا باشا الصلح: إن الإدارة الفاسدة هي سبب ثورة لواء الكرك، كما كانت السبب في ثورة حوران وجبل الدروز...وإن الإسلوب الذي عومل به العرب في تلك المناطق لا يدل أبداً على أننا والأتراك في دولة عثمانية واحدة، وأن الإجراءات التي أتخذت في الكرك كانت إجراءات ظالمة أصابت هيبة الدولة وسمعتها...فالشقاق بين العرب والأتراك يعني سياسياً وجغرافياً وتاريخياً تفكك معالم وحدة الدولة، ويبشر بانهيار الحكم العثماني في الولايات غير التركية، وبخاصة بعد الغزو الإيطالي على ليبيا، إذ أن هذا الغزو يشكل ثغرة جديدة وكبيرة في جدار الدولة الموحدة، وجعلت العرب يثورون عليها .
وانتقد رضا الصلح ضريبة العشر، وطالب بتأخير ضريبة التمتع وانتقد بشدة الغرامات التي فرضت على الأهلين في الكرك، وخاطب وزير المالية السيد (جاويد) قائلاً له: كيف توافق على فرض غرامات على أهل الكرك في الوقت الذي يجب على الحكومة أن تدفع تعويضات لهم عن تدمير منازلهم وذبح شيوخهم؟،بأي قانون تفرض غرامة على المقتول من قبل القاتل، وتفرض نصف الغرامة على شخص واحد بزعم أن هذا الشخص هو الذي تزعم العصيان على الدولة؟، أنت ذكي يا جاويد لكنك مغرور، ويجب أن تتعلم ليس منا فقط، بل من الذين هم أحط منا جداً!! .
شكري العسلي نائب دمشق:
انتقد نائب دمشق شكري العسلي سياسة حزب الاتحاد والترقي التي تسيرها فئات حاقدة على الجامعة الإسلامية، وقال: لقد أعزنا الله العظيم وإياكم بالدين الإسلامي وجعلنا أمة واحدة، ولكن من الواضح جداً أن فئات حاقدة على وحدتنا قد نجحت في بث الفرقة في صفوفنا -ويقصد العسلي الحركة الماسونية والحركة الصهيونية- وتابع العسلي حديثه أمام البرلمان العثماني في جلسة يوم 20/آذار/1911 بقوله: إن من أهم الأسباب التي أدت إلى التخلي عن ولاية طرابلس ليبيا هي اللامبالاة من جمعية الاتحاد والترقي التي أرسلت جيوشها إلى الكرك لقتل العرب، وفضلت ملاحقة الشيخ قدر المجالي كواحد من الذين اعترضوا على عنجهية العقلية العسكرية على ملاحقة الغزاة في ليبيا ..في الوقت الذي نرى فيه إن الضباط والجنود العرب الذين يقاتلون في ليبيا دفاعاً عن الدولة وكيانها، نرى في الوقت نفسه الضباط والجنود الأتراك يقتلون أبناء جلدتهم في الكرك ونواحيها وأقضيتها..إننا نطالب الدولة بوقف حمام الدم ضد العرب، ووقف الملاحقات ضد مشايخ وزعماء بلاد الكرك وشمالها في حوران، وإذا استمرت الحال على حالها فإن الولايات العربية الأخرى ستشهد أكثر مما نراه الآن في جنوب الولاية السورية..إن الإسلوب الذي عوقب به زعماء ومشايخ الكرك لا يدل إلا على فساد الإدارة، وغياب العقل والحكمة من عقول وضمائر أصحاب القرارات الارتجالية الطائشة...
خالد البرازي: نائب حماه
هاجم نائب حماه السيد خالد البرازي بشدة والي سوريا (إسماعيل فاضل) واتهمه بالرجل الذي يلعب على الحبلين)، كما هاجم الجنرال سامي الفاروقي واتهمه بالرجل الانتهازي والذي لا يهمه إلا جمع المال من الأهلين على طريقة الولاة الجهلة الذين لا يحترمون مواقعهم، ولا يراعون للدين حرمة وقال في جلسة يوم 20/آذار/1911 مايلي:
الأحداث تتسارع في أركان الدولة ثورة في حوران وثورة في جبل العرب، وثورة في الكرك، وثورة في عسير وصنعاء، وقبل ذلك ثورة في تبوك ومدائن صالح، وهذه الأيام غزاة جدد يحتلون ولاية طرابلس الغرب، أين أنتم من هذه الأحداث المفجعة؟ ولماذا لا نكون في قلب الأحداث ونضع الحلول لأسبابها، إن إسماعيل فاضل يلعب في دمشق على الحبلين يتهم العسكر بتجاهله ثم يتهم أهل الكرك بنكران جميل السلطان، إنه سيئ الإدارة، وسوء إدارته هي السبب في ثورة الكرك، ولم يقبل باقتراحات شيخ الكرك بتأجيل جمع الأسلحة من الأهلين...أطالب هذا المجلس بتوصيات إلى الباب العالي باختيار ولاة من أي جنس كان بشرط أن يعرفوا اللغة العربية وكيف يتفاهمون مع أهل البلاد، لقد أثبت العرب عن حسن نواياهم تجاه الدولة، وخير مثال على ذلك ما فعله ويفعله شريف مكة الحسين بن علي الذي بعث قواته لمحاربة العصاة مع جنود الدولة في اليمن، علماً بأن والي اليمن هو سبب الثورة في اليمن، إذا كان العرب موضع شبهة في العهد البائد فليس الآن صحيحاً ، وطالب النائب خالد البرازي (وهو من أصل كردي)أن يكون التدريس باللغة العربية في مدارس الولايات العربية، وأن تكون لغة القضاء في المحاكم عربية لا تركية، وطالب بتأسيس جمعية عربية تدافع عن مصالح العرب بعد الذي حصل لهم في الكرك...إن جرائم عسكر السلطان في الكرك ستبقى وصمة عار في تاريخ الدولة العثمانية، لأن أهل الكرك لن ينسوا أبداً ونحن معهم لن ننسى قذف شيوخ الكرك من فوق سور القلعة إلى الوادي ورؤوسهم مثقلة بالحجارة لكي تتحطم جماجمهم...إذا كنتم نواب أمة عظيمة أوقفوا الحملات الإعلامية ضد العرب،وحاسبوا جريدة (أقدام) على إثارة التعصب العرقي...إن تدمير مدينة الكرك التي كانت يوماً عاصمة للدولة الإسلامية جريمة بحق الإنسانية، وجريمة بحق الشراكة بينكم وبيننا .
سعد الدين نائب حوران
قال نائب حوران الشيخ سعد الدين المقداد في الجلسة المسائية التي عقدت يوم 20/آذار/1911م، مايلي: لم يستوعب بعد حكام بلاد الشام من الذين أبتلي بهم الشعب، ولم يقدروا، أن حوران تحكمها العلاقات الاجتماعية (العشائرية) هكذا خلقنا الله سبحانه وتعالى، فحوران التي تمتد من تبوك إلى جنوب الشام لم تعرف الاستقرار منذ عام 1905 والسبب سوء الإدارة وتفشي الرشوة وتسلط الحكام...أنا أعرف الشيخ قدر المجالي جيداً، فهو من زعماء حوران وبلاد الشام، ولم يكن يوماً ضد وحدة الدولة والأمة ولكنه ضد الظلم والقهر والاستبداد، وإذا كانت الكرك هبت دفاعاً عن كرامة مشايخها الذين أذلهم الفاروقي وجنوده، فما ذنب الشيخ نوري الشعلان حتى يلقى عليه ويسجنه الفاروقي بتهمة دعم صديقه قدر المجالي؟؟ ولماذا تتشرد عشائر (الرولا) في الجوف ووادي السرحان؟؟، إنها حملة ظالمة ضد العرب من فلاحين وبداوة، وإذا لم توقفوا هذه المهازل في الكرك والجوف وكل المنطقة المجاورة للكرك، فنحن النواب العرب لنا مواقفنا وأقلها الانسحاب من مجلس المبعوثين (مجلس النواب) والعودة إلى بيوتنا فهذا أشرف لنا....).
توفيق المجالي نائب الكرك:
كان النائب توفيق المجالي الأكثر عنفاً، فهو ابن المصيبة الكبرى، عشيرته مشردة وعمه الشيخ قدر المجالي تلاحقه السلطات من مكان إلى مكان ، وعميه عبد القادر وإبراهيم المجالي في ذمة الله، ومدينته تستباح ليلاً ونهاراً فهاجم كل السلطات العثمانية واتهمها بالكفر والزندقة، وأنها: تسعى منذ استلام حزب الاتحاد والترقي إلى قتل العرب وطمس هويتهم العربية والإسلامية لأن من يتحكم بالسلطة أصبحت عقيدته ماسونية أو يهودية وليس الإسلام.
إن الأساليب التصفوية بحق أهلي وعشيرتي وبلدتي جريمة خطط لها كهنته لا يعرفون الله إنهم من أحقاد جنكيز خان، أو من أحفاد هولاكو لا يهمهم الجامعة الإسلامية ولا يهمهم الشراكة العربية التركية، ولا تهمهم كيف البلاد تنقسم إلى دويلات، وممالك، فهم بطبعهم لا يعيشون إلا بالفتن والنعرات وتصفية الآخر...نحن النواب العرب نعلنها بصراحة اننا ننتمي منذ اليوم إلى حزب اللامركزية المعارض باسم.... إخواني العرب أقدم الشكر والامتنان للصديق والزميل النائب ( حسن فهمي) لمواقفه المؤيدة للعرب، وعن طريقه نقدم الشكر لأهالي منطقته (سينوب) الذين استنكروا الإجراءات العسكرية الإرهابية ضد أهلي وبلدتي الكرك، أشكرك باسم أهل الكرك أيها النائب المحترم وقبلت اعتذارك عندما قلت لي: أرجو من العرب أن لا يؤاخذوا جميع الأتراك بسبب سياسة بعضهم وباسم النواب العرب أشكر الدكتور توفيق رضا والكاتبة المحترمة خالدة أديب، واللواء العسكري صادق بك الذي قدم استقالته استنكاراً لذبح مشايخ وأهالي الكرك، وأشكر كل من تعاطف مع قضايا شعبنا وأهلنا .
وعلى هامش هذه الجلسة النيابية عقد النواب العرب جلسة خاصة مع وزير الداخلية ( جلال بك) وذكرت جريدة (المقتبس) في عددها الصادر رقم 694 تاريخ 22/آذار/1911م، أن وفد النواب العرب تشكل من : شكري العسلي، وشفيق مؤيد العظم، و توفيق المجالي، وطالبوا وزير الداخلية بتعيين حاكم إداري جديد في الكرك واستبدال الوالي بآخر يعرف العربية وبسحب القوات العسكرية من الأحياء السكنية في الكرك وبقية المدن في اللواء.
لم يستجب وزير الداخلية لمطالب النواب العرب، بل تأثر كثيراً بالمقالات الصحفية التي تناولت شخصية توفيق المجالي، وبخاصة جريدة (اقدام) التي طالبت بإلغاء الحصانة النيابية عنه ومحاكمته عرفياً، واتهمته بالانتماء إلى الجمعية (المحمدية) التي تدافع عن عهد السلطان المخلوع (عبد الحميد)، بالإضافة إلى انتسابه إلى حزب المعارضة(حزب اللامركزية).
ترك توفيق المجالي استانبول هرباً من إلقاء القبض عليه ومحاكمته عن طريق البحر ولجأ إلى بارجة بريطانية بالقرب من الموانيء المصرية، وبقي في مصر حتى عام 1912م، حيث عاد إلى الكرك، وحلت الحكومة مجلس النواب وفوّت المجالي على السلطات إلقاء القبض عليه.
وفي جلسة يوم 23/آذار/1911م، تحدث النواب العرب: رشدي الشمعة(نائب دمشق)، وأحمد الخماش(نائب نابلس)، و أسعد شقير(نائب عكا)، وكانت مداخلاتهم مكررة ومتشابهة لمداخلات النواب العرب الذين سبقوهم في الحديث ولكن النائب أحمد الخماش اضاف شيئاً جديداً عندما قال: عرفت منطقة نابلس بجبل النار، وأرجو أن يكون إسماعيل فاضل ومثيله الفاروقي وغيرهما من أصحاب قرار إشعال النار في الولايات العربية أن يفهموا ما أقصده..وآن الأوان لاستبدال هؤلاء بأخير منهم، لإخماد النار بدلاً من إشعالها... .
وعندما شعرت الحكومة المركزية في استانبول بالمسؤولية تراجعت عن كل الإجراءات، ومنح الشيخ قدر عفواً سلطانياً، ليوضع في تجربة جديدة هي دعم ومساندة الأتراك في الحرب العالمية الأولى، وفي عدم الاشتراك بالثورة كما سنرى في الحلقة القادمة

شهداء ثورة الكرك
لم تكتف قيادة الحملة العسكرية (الفاروقية) على الكرك بإعدام مجموعة من الثوار رمياً من القلعة إلى الوادي، ولا بإعدام ستة من مشايخ البدو، بل توجهت قوة مدججة بالسلاح والحقد والكراهية إلى بلدة الطفيلة بحجة البحث عن الشيخ قدر المجالي، وإعادة الأمن وفرض هيبة الدولة، ومارست هذه القوة العسكرية أبشع أنواع التعسف النفسي بحق مشايخ ووجهاء الطفيلة، وجمعت الأهالي بالقرب من قلعة الطفيلة ثم دخلت منازلهم ونهبتها، وقتلت رمياً بالرصاص ثلاثة من فرسانها والتحقت هذه القوة العسكرية بالقوة التي ذهبت إلى معان، وهناك وفي موقع (الشعار) ألقي القبض على عدد من الأهلين وقتلوهم رمياً بالرصاص ثم انهالوا على جثثهم بالخناجر والبلطات وجروا أجسادهم الطاهرة بخيولهم حتى تمزقت أجسادهم ثم أسروا العشرات منهم وساقوهم إلى الكرك، وكان الأميرلاي ناجي خلف القائد صلاح الدين يهاجم مضارب المجالي والحمايدة، وقتل منهم أربعة من الثوار وأسر 60 شخصاً، وفر بعض أفراد عشيرة المجالي إلى بلدة الشوبك وهناك أسر الأتراك عدداً من النساء الهاربات وجاءوا بهن إلى سجن معان، عن سجن النساء المجاليات حدثني الشيخ هايل المجالي قائلاً: قام الأتراك بأسر النساء في كل من الكرك ومن كنّ في طريقهن إلى الشوبك، حيث كان هناك حلفً بين المجالية وأهل الشوبك، وحبسوهن في سجن معان، ومن ضمن النساء السيدة (مشخص) زوجة قائد الثورة قدر المجالي وشقيقتها (بندر) زوجة الشيخ رفيفان المجالي، وكانت السيدة (بندر) في شهرها التاسع فوضعت مولودها في السجن وسمته ( حابس) وهو المشير حابس المجالي، الذي كان يقول مفتخراً: أنا من مواليد سجن معان سنة 1910 ، وقد حاولت الشخصيات المعانية التوسط عند قائد الحملة للإفراج عن السيدة (بندر) إلا أن المحاولات فشلت، وطلب أحد مشايخ معان أن يضع زوجته في السجن لتكون بقرب السيدة بندر ولرعايتها ورفض طلبه، ولم يفرج عن النساء إلا بعد قدوم أمير اللواء عبد الحميد القلطقجي خلفاً للواء ناجي سيئ الذكر .
إلى العراق
وبعد الطفيلة ومعان تحرك اللواء ناجي بقواته باتجاه العراق، وألقي القبض على 65 رجلاً وحبسهم في أحد المنازل ثم قام جنود هذه الحملة بشد وثاق كل اثنين منهم سوية، وخاطبهم قائد الحملة بقوله: من منكم يدلنا على مكان قدر المجالي سنفرج عنه وعن من يراه بريئاً من التمرد، وسيمنحه السلطان عطايا وهدايا كثيرة، وسيكون محترماً عند الوالي والمتصرف وسنتحمل مسؤولية حمايته من الأشرار ، ولم يستجب لترغيبه أحد منهم، بل أجمعوا على عدم معرفتهم بالشيخ قدر أو عن مكان اختفائه، وهم من الشباب لا يعرفون إلا الرعي ولم يشتركوا بقتل الجنود ولا بقتل غيرهم، وبعد هذا الحوار أصدر قائد الحملة أمره لجنوده بقتل الجميع فانهالوا عليهم طعناً بالخناجر والبلطات حتى صنعوا من دمائهم بركة من الدم ولم يكتفوا بهذه الإجرامية البشعة بل ختموا مسرحية الموت بإطلاق الرصاص عليهم فاستشهدوا جميعهم ثم دخلوا القرية بيتاً بيتاً، والقوا القبض من جديد على ستة من كبار السن أحدهم قال لهم: مش هيك المرجلة وإلا حاميها حراميها ، وذلك بعد أن نهبوا بيته، فقام أحد الجنود وطعنه في عنقه وتركوه يتخبط بدمائه حتى استشهد ، ويقول الشيخ هايل المجالي: لم يكتفوا بما فعلوا بل أشعلوا النار في منازل القرية بعد نهبها وساقوا أمامهم حلال وأغنام القرية .
استلام
بعد أن أتمت القوات العسكرية سيطرتها على الوضع ولم يعد للمقاومة المسلحة نفعها أمام عشرات الطوابير والكتائب العسكرية، استسلم عدد من المطلوبين ومعظمهم من وجهاء ومشايخ العشائر الكركية، وذلك بناء على نداء قائد الحملة: لوضع حد لحالات الفوضى وفقدان الأمن وللمصالحة أيضاً والتفاوض حول الغرامات وتوزيع مقاديرها على العشائر الكركية ، إلا أن قائد الحملة لم يكن عند مستوى احترام وعده فزاد من حقده وكراهيته، ونفذت السلطات حكم الإعدام بحق 25 مجاهداً كانوا في سجن معان ومعظمهم من عشائر المجالي، والهلالات، والحسنات، والعمارين، والنعيمات.
مواقف
اشترط قائد الحملة على المشايخ الذين سلموا أنفسهم للسلطات أن يفعل مثلهم: الشيخ قدر المجالي، والشيخ عبد القادر المجالي، والشيخ إبراهيم المجالي، ولكن الشيخ ساهر المعايطة رفض طلبه وقال له بجرأة الفرسان: الشيخ قدر لن يسلم نفسه إلا بعد إصدار العفو العام الكامل والشامل من قبل السلطان شخصياً، وليس من قبلك ولا من قبل الوالي ، أما الشيخ درويش الجعافرة فكان أشد عنفاً عندما قال: تطالب مشايخ المجالية بالاستسلام، وحبركم لم يجف بعد بتعميمكم على الأهلين بعدم إيواء أي فرد من أفراد عشيرة المجالي .
شهداء
تنكرت السلطات المحتلة لوعودها وتعهدها للمشايخ، فنقلت خمسة منهم إلى مدينة دمشق ونفذت بحقهم حكم الإعدام شنقاً في ساحة قلعة دمشق وهم:
1- الشيخ ساهر المعايطة.
2- الشيخ درويش الجعافرة.
3- الشيخ علي النوايسة.
4- الشيخ خليل الذنيبات.
5- الشيخ منصور الذنيبات.
وهناك قافلة أخرى من الشهداء نفذ بهم حكم الإعدام شنقاً حتى الموت بتهمة الخيانة العظمى ونكران جميل السلطان، والاستيلاء على أموال دار الحكومة، وتخريب سكة الحديد، ونهب مقتنيات البرق والبريد، وقتل جنود حامية الكرك، والتستر على مكان الشيخ قدر المجالي وإبراهيم المجالي ومن بين هؤلاء الشهداء المشايخ:
1- ذياب الجلامدة.
2- محمد البحيري.
3- عبد الغني البطوش.
4- سليمان البطوش.
5- منصور بن طريف.
مذبحة
وتمكنت أخيراً القوات التركية من إلقاء القبض على الشيخين عبد القادر المجالي، وإبراهيم المجالي وقيل إن الشيخ عبد القادر المجالي قام بتسليم نفسه إلى قائد الحملة بعد (إعلان الأمان التركي الثالث)، إلا أن قائد الحملة أمر بتعذيبه حتى الموت، ورمي جثمانه في بئر بالقرب من القلعة، ورواية الشيخ هايل المجالي تقول: استسلم عدد من المقاتلين بعد إعلان الأمان التركي لهم ومن ضمنهم الشيخ عبد القادر المجالي ومجموعته، وذلك بعد أن تم نقل شقيقه الشيخ قدر المجالي إلى أماكن آمنة عند العشائر البدوية، ولكن غ&#245;در به وقتلوه ورموا جثته في بئر بالقرب من القلعة، وبعد جهد جهيد تمكن ولداه سعود وسعدون بمساعدة أخوالهم من عشيرة الشمايلة القاطنة في بلدة الشهابية القريبة جداً من الجزء الجنوبي من قلعة الكرك من إحضار جثمانه من بئر في القلعة اعتاد الأتراك رمي الجثث الضحايا في داخلها ونقله إلى بلدة الربة لدفنه هناك، وسعود هذا وشقيقه سعدون كانا حارسين للشهيد قدر طيلة مدة اختفائه، وكانا مشهورين بالقتال والفروسية.. .
وعن مصير الشيخ إبراهيم المجالي يقول الشيخ هايل: وإذ تمكن سعود وشقيقه من إنقاذ جثمان الشيخ عبد القادر فإنهما لم ينجحا في العثور على جثمان الشيخ إبراهيم المجالي. .
ويقول الدكتور علي سلطان في كتابه (تاريخ سوريا في العصر العثماني)ص117 نقلا&#245; عن تقرير القنصل الفرنسي في القدس رقم 15/عام 1911 أن عدد شهداء ثورة الكرك قدر بـ500 شهيدً.
العفو السلطاني
جاء العفو السلطاني عام 1911 بمناسبة إعلان إيطاليا الحرب على (ليبيا) واحتلالها ومهاجمة ولاية طرابلس، فاضطرت الحكومة العثمانية لإصلاح الأوضاع الداخلية وبخاصة في مناطق البؤر المتوترة، والعمل على تهدئة الخواطر واكتساب ثقة الضباط العرب في الجيش العثماني الذين تصدوا للهجوم الإيطالي على ولاية طرابلس وفي مقدمتهم اللواء علي خلقي الشرايري والقائمقام نجيب سعد البطاينة -الذي استشهد في الجبل الأخضر- والقائمقام عزيز علي المصري، وغيرهم من كبار الضباط العرب، وقد شمل هذا العفو السجناء والفارين من أهل الكرك، وحوران، وجبل الدروز، ولكن هذا العفو لم يشمل الشيخ قدر المجالي وأبناء عشيرته حتى النائب في البرلمان العثماني توفيق المجالي لم يشمله هذا العفو فالتجأ إلى مصر وبقي فيها حتى نهاية عام 1912 حيث شمله العفو الثاني وكانت الحكومة العثمانية المركزية اتهمت النائب توفيق المجالي بدعم ثورة الكرك من خلال تحريض النواب العرب على مهاجمة الحملات العسكرية على الكرك واتهام الفاروقي وبقية جنرالات الجيش العثماني بالقتل العشوائي تنفيذاً لرغبة الحركة الماسونية والحركة الصهيونية، كونها الأساس الداعم لانقلاب حزب الاتحاد والترقي على صديق العرب السلطان عبد الحميد .
إذن لم يشمل العفو السلطاني الأول (1911) الشيخ قدر المجالي، وظل مختفياً عند العشائر البدوية، ويراقب الأحداث يوماً بيوم عن طريق المجاهد سعود المجالي، ولم تكتف السلطات الحاكمة باستثناء قدر المجالي من العفو العام السلطاني، بل ضاعفت الجهود للقبض عليه وعلى أبناء عشيرته حتى أن اللواء ناجي بك قائد الحملة الجديد أصدر أوامره المشددة والتي تقضي بأن لا يقوم أحد من الأهلين بإيواء أي فرد من عشيرة المجالي، نظراً لرفضهم الاستسلام، واستمرارهم بالتمرد والعصيان على الحكومة السنية ، يقول سليمان الموسى في كتابه المشترك مع المرحوم منيب الماضي (الأردن في القرن العشرين) ص 26: وجهت الحكومة التركية الاتحادية مسؤولية القيام بالثورة الكركية إلى الزعيم الوطني قدر المجالي وعشيرته ولم يستفد من العفو العام حيث أن معظم أفراد هذه العشيرة بقوا مطاردين من قبل السلطة، وكان هدف قائد الحملة من هذه الإجراءات التعسفية بحق المجالية ترمي إلى قسرهم إلى الاستسلام، أو إلى موتهم جوعاً وعطشاً وبرداً لأن الشتاء كان قاسياً جداً .
وعندما تولى القيادة العسكرية أمير اللواء (عبد الحميد القلطقجي)، خلفاً لأمير اللواء (ناجي بك) شكل لجنة لتقدير ثمن الخسائر، فاجتمعت هذه اللجنة في دار الحكومة وقيمت الخسائر المادية بمبلغ 60 ألف ليرة ذهبية حملت الشيخ قدر نصف هذا المبلغ (30ألف ليرة ذهبية) والنصف الآخر يتعاون أهل الكرك على دفعه بموجب أقساط سنوية ولمدة ست سنوات متتالية، وقد صادق والي دمشق ووزير الداخلية على هذا القرار، كما صدرت قرارات انتقامية بحق الشيخ قدر المجالي ومن بينها:
- الحجز على جميع أملاكه، الأرض والمنزل والخيول والأغنام.
- الاستيلاء على جميع المحصول السنوي لعام 1911 .
وعلل الوالي قراره هذا بالنص التالي: ي&#245;غرم المدعو قدر بن صالح المجالي نصف الغرامة التي أقرتها لجنة تقدير الخسائر والبالغة 60 ألف ليرة ذهبية، وحجز كافة أملاكه الواضع يده عليها من قبل، وتحويل حاصلات الموسم الحالي (1911) إلى مالية الحكومة السنية، وبإشراف متصرف اللواء ومحاسب المتصرفية، ويرفع بذلك جدول بأنواع المحاصيل وقيمة أثمانها إلى الوالي .
بقيت هذه الإجراءات مفروضة على الكرك حتى نهاية عام 1912 حين أصدر السلطان عفواً سلطانياً ثانياً عن جميع المخالفات والأحداث التي وقعت قبل تاريخ الإعلان وألغت الحكومة القرارات السابقة الخاصة بإحصاء النفوس وتجنيد الأهالي وقد شمل العفو الشيخ قدر المجالي وجميع أبناء عشيرته، فعاد للظهور من جديد زعيماً وقائداً وشيخاً لمشايخ الكرك باحتفال كبير شاركت بتنظيمه وإقامته جميع العشائر الكركية وعشائر الطفيلة ومعان ولبست الكرك ثوباً جديداً من الفرح حيث ألغى السلطان القرار الخاص بحجز أملاك الشيخ قدر ولم تدفع عشائر الكرك الغرامات المالية إلا القسط الأول فقط.
ويعود الفضل في ذلك إلى أمير اللواء عبد الحميد القلطقجي الذي تسلم القيادة العسكرية وأعاد الهدوء والأمان إلى الكرك بأساليب إدارية ودراية في الشأن العشائري وقال عنه الدكتور علي سلطان مايلي: من الصعوبة بمكان أن تنشغل الدولة بحروب خارجية وداخلية فأحداث الكرك أثرت في هيبة الدولة، وبعد أحداث دامية سببها عجز القيادات الإدارية والعسكرية عن وضع الحلول بالتعاون مع أهل البلاد تسلم الأميرلاي عبد الحميد القلطقجي زمام الأمور، وذكر عن هذا الرجل أنه كان دمث الأخلاق، مقداماً مستقيماً، ساهم بعودة الهدوء إلى الكرك بإسلوب رضي عنه الشيخ قدر المجالي وبقية شيوخ الكرك، وبخاصة بعد أن أنهى الإجراءات العسكرية، وتعقب الثوار وملاحقتهم، وهو من العائلات الشامية المعروفة بالسلوك العربي المتزن .
وكان للنواب العرب في البرلمان العثماني الدور الرائد في توضيح أهداف الثورة والتفاصيل في الحلقة

بيان متصرف لواء الكرك
كانت تقديرات الشيخ قدر المجالي تشير إلى أن نتيجة تحرير النفوس ستكون تجنيد أكثر من ألف شخصً وهؤلاء الشباب سيحكم عليهم بالسوق الإجباري للقتال في بلاد القفقاس وغيرها من البؤر المتوترة في الولايات غير العربية، فأعلن أن موت ثلاثمائة في الثورة أفضل بكثير من موت ألف شخص خارج بلادهم.
زاد هذا التوجه من حماس الشباب، وفضلوا الموت فوق تراب وطنهم على الموت في بلاد بعيدة عن ديارهم وأهاليهم، فكان يوم 4/12/1910 م يوماً مشهودا في تاريخ الثورة الكركية وبخاصة في مناطق بني حميدة، وسليط، وفي قرية سيدنا جعفر، والعراق، ومدين الواقعة بقبلي قصبة الكرك لجهة الشرق، شعر المتصرف محمد الطاهر بخطورة الموقف وزاد من تخوفه نبأ جاءه الساعة التاسعة مساء يفيد أن العسكر قد ذبحوا في سليط وفي مضارب بني حميدة ، وفي يوم 5/12/1910 وجه المتصرف بيانه - على شكل رسائل- إلى حسين الطروانة، ومحمود طه الضمور، وعودة القسوس، وبطرس الصناع، طالب فيه بالتوسط لدى الشيخ قدر بوقف أعمال الثورة، وبحث شروط السلام مستخدماً أسلوب الترغيب والتهديد، وهذا نص بيان المتصرف كما جاء في التقرير الرسمي الذي أعده المتصرف إلى وزارة الداخلية والمحفوظ في / الملف الثاني/ رقم: 3-3/61/:
قد صار معلوم لدى العموم، المعاملات والحركات الجارية في هذين اليومين 4و5/12/1910 ولكن لمن ينفهم المقصد من هذه الأعمال والأفعال، أنتم عقلاء بالنسبة لسائر أفراد العشائر والحكومة تنتظر منكم الإطاعة والانقياد وإذا فهمنا القصد والسبب لهذه الحركات سنتخذ بعض الآراء اللازمة لتنفيذ آمالكم ومطالبكم مع القومندان شاكر باشا في دائرة العقل والقانون، انتم تعلمون بان الحكومة ليست عبارة عن الفئة الموجودة في الكرك والذين يصرون ويعندون في البغي والعصيان سيقعون في اشد العقاب ولكن الندامة لا تنفع، كونوا آمنين إذا جئتم ودخلتم إلى الحكومة فانتصحوا من هذه البيانات واحضروا حالاً إلى عندنا...
وتلقى المتصرف جواباً وحيداً من السيد بطرس الصناع، أما بقية الشيوخ والوجهاء فبعضهم تجاهل البيان ذهب بنفسه وقدم حجته للمتصرف، أما الشيخ محمود طه الضمور فقد رفض البيان جملة وتفصيلاً، وأعلم الشيخ قدر بنوايا الحكومة، وقررا معاً استمرارية الثورة وقد أورد المتصرف جواب بطرس الصناع في تقريره الرسمي وينص على مايلي:
شهد الله هذه القضية بدون معلومية عندي قطعياً، دكاكينا انتهبت البارحة.. هؤلاء الفاعلين لا نعلم مرغوبهم، أنا مأموريتي حررت نفوسها بكل أمان واطمئنان ولا عندهم خبر، ومن شدة الرصاص لا يمكنني التشرف بين أياديكم نحن طائعين لله والسلطان، ومرادنا نهرب إلى مادبا من الكرك وعدم الأمنية على أنفسنا منتظرين أمركم كيف نعمل أفندم .
الفاروقي يتهم المجالي بالخيانة العظمى:
وصلت أنباء الثورة إلى سامي الفاروقي الذي يتمركز في جبل العرب فثارت ثائرته وأقسم يميناً بحياة السلطان على أن يدمر الكرك على من فيها ويخلط دم البشر بدم الحيوانات ويحرق الأرض وما عليها من بشر وحجر وشجر، وأن يجعل الكرك مباحة لجنوده وقواته العسكرية والأمنية، وأن يركع مشايخ الكرك بين يديه، ولن يكون مصير الشيخ قدر إلا الموت ولن تكون الكرك بعد اليوم مسكناً وإقامة لعشيرة المجالية المتمردة على عظمة السلطان والخليفة ، وبالمقابل أخذ ضباطه وجنوده واتهمهم بالخوف والخذلان لأنهم لم يستعملوا القوة اللازمة ضد العصاة منذ البداية، وبأنهم لم ينفذوا في الكرك ما نفذه في السويدا والشهبا وقرى جبل الدروز، ثم أخذ يكيل التهم والمسبات والشتائم بحق الشيخ قدر المجالي، وقال فيه كلاماً بذيئاً ونعتاً مشيناً عبر فيه عن مستوى حقده وكراهيته لبلاد الشام بشكل عام، وبالغ الفاروقي في اتهاماته وتجنيه على الشيخ قدر المجالي شخصياً عندما اتهمه بالخيانة العظمى ونكران الجميل والعرفان ونعمة السلطان والوالي عليه، فوجه برقية إلى والي دمشق يخبره فيها بإرسال تعزيزات عسكرية إلى الكرك لأن قدر المجالي قرر:
- إبادة وذبح جميع القوات العسكرية وعناصر الإحصاء.
- طرد رؤساء المؤسسات الحكومية في لواء وأقضية الكرك.
- إقامة حكم محلي عشائري يمتد من أطراف البلقاء إلى مدائن صالح، وإعلان الانفصال عن دولة الخلافة وسيادة السلطان .
- إثارة العشائر البدوية لخروجها عن طاعة السلطان والدولة.
الوالي إسماعيل باشا لم يصدق من جهته غالبية الافتراءات التي ألصقها بالشيخ قدر وبخاصة الخيانة العظمى لأن أهداف الثورة لم تكن انقلابية ولا انفصالية، إنما كانت كما أعلنها المجالي نفسه دفاعاً عن الحقوق وصوناً لكرامة الإنسان والحفاظ على حياة الأبناء الشباب ، لذلك وجه الوالي انتقادات شديدة للفاروقي ونصحه أن لا يقدم على إجراءات انتقامية في الكرك شبيهة بالإجراءات التي نفذها في جبل الدروز، وحذره من النيل من الشيخ قدر ومن رموز العشائر الكركية حتى لا تصبح الكرك مقبرة لجنود السلطان، وحتى لا تخسر الحملة ضباطها الكبار مثل ما خسرت الجنرال شكري بك .
لم يأخذ الفاروقي بنصيحة الوالي، فبادر للحال بإرسال حملة عسكرية جديدة وكبيرة العدد والعدة، بقيادة الجنرال (صلاح الدين بك) وصلت مشارف الكرك يوم 29 تشرين الثاني 1910 قادمة من القطرانة عن طريق (سيل اللجون) و(خربة التينة)، وفي الأول من كانون الأول دخلت الحملة لمساندة الكرك بعد معارك متفرقة كان التوازن العسكري لصالح قوات الحكومة فانسحب الثوار من داخل المدينة، وانتشروا في أطرافها بناءً على الأوامر التي أصدرها الشيخ قدر حفاظاً على أرواحهم، ولتنظيم هجمات معاكسة ومشتركة مع قوات العشائر البدوية ولمساندة القوات الشعبية التي تحاصر القلعة ولتأمين انسحابها قبل وصول القوات العسكرية لفك الحصار عنها.
ولكي يثبت الفاروقي للسلطات العليا نجاح حملته وخطأ تقديرات الوالي قام بتوجيه التهم إلى الوالي إسماعيل فاضل باشا، وقد ذكرت جريدة (المقتبس) في العدد364 تاريخ3/كانون الأول/1910 (والمحفوظة حالياً في دائرة الوثائق السورية) بأن سامي الفاروقي اتهم الوالي إسماعيل باشا بالوقوف ضد إجراءات حملته العسكرية على الكرك، وأنه حرّض أهل الكرك على الثورة لإفشال مهمته، كما اتهم متصرف لواء الكرك محمد طاهر بسوء التصرف والضعف، لذلك أقدم وزير الداخلية على عزلهما من مناصبهما، هذا بالإضافة إلى اعتقال اللواء شاكر باشا قائد الحملة الأولى وإرساله مخفوراً من الكرك إلى دمشق بتهمة الإهمال والتقصير والتسبب بقتل أكثر من 200 جندي خلال الساعات الأولى من ثورة المجالي وفي مقدمتهم أحد الضباط الكبار الذي اختبأ في بيت أحد المواطنين ولكنه قتل بعد ذلك، وهو القائد شكري بك ، وأضافت الجريدة المذكورة بأن الحكومة المركزية تخبطت بإجراءاتها الداخلية وفقدت هيبتها في الداخل والخارج وكثرت الاتهامات المتبادلة بين المسؤولين عن الحملة العسكرية واتهام بعضهم بالتقصير والبعض الآخر بالتحريض على الثورة... .
البحث عن قدر المجالي
عندما دخلت قوات الفاروقي وسط المدينة أخذت أبواق الإنذار تعلي زعيقها معلنة الحرب على الشعب، ثم فك الحصار عن القلعة، وحررت الجنود الذين كانوا رهينة لدى قيادة الثورة، فاختلط جنود الحملة الأولى بالثانية، فانتشروا في شوارع المدينة وحاراتها، وطلب قائد الحملة اللواء صلاح بك من الأهالي العودة إلى منازلهم واعداً بأن يعامل العائدين بالرحمة، وطلب من الأهلين الامتناع عن إيواء العناصر المطلوبة للدولة وهدد بإعدام كل شخص يثبت عليه إيواء الفارين من وجه العدالة ويعدم حرقاً كل من يعرف معلومات ويخفيها عن قدر المجالي وله عطية ومكرمة من السلطان كل من يقوم بإدلاء معلومات عن مكان تواجده.. .
وفي اليوم التالي من احتلال المدينة 30 تشرين الثاني تبرع أحد الجواسيس بإخبار قائد الحملة بأن قدر المجالي ومجموعة من أنصاره لجأوا إلى مضارب البدو، فجهز سرية من الفرسان لتطويق مضارب البدو المقامة في الجهة الجنوبية من المدينة ولديهم تعليمات بإحضار الشيخ قدر ومن معه من زعماء العشائر أحياء أم أموات ، وقد ذكرت جريدة (ا لمقتبس) في عددها 651 الصادر يوم 15/نيسان/1911 أي بعد أربعة أشهر من الأحداث معلومات موثقة عن ممارسة إرهاب الأهالي للإدلاء بمعلومات تقود الحكومة إلى مكان اختباء الشيخ قدر المجالي، فقالت: قامت قوات الحملة الفاروقية (نسبة إلى سامي الفاروقي) بمهاجمة مضارب البدو جنوبي مدينة الكرك بعد أن اتهمتهم بالاشتراك في الثورة، وتسهيل هرب زعيم الثورة قدر بن صالح المجالي والمشايخ المؤيدة لزعامته، فألقت القبض على مائة منهم، ونفذت حكم الموت بستة من مشايخهم، حيث أصر البدو على عدم معرفتهم فيما إذا كان الشيخ قدر المجالي خرج من الكرك إلى البلدات أو المضارب المجاورة .
وكانت مجلة (العرفان) قد ذكرت في عددها الصادر يوم 2/ كانون الثاني/1916 (المجلد الثالث -الجزء الاول) أن قوات الحكومة وأجهزتها من درك وفرسان وجيش ما زالت تبحث عن شيخ مشايخ العشائر الكركية، وقد أخفت العشائر المحيطة بالكرك والعشائر البدوية المعلومات عن الحكومة، لذلك هاجمت قوات الحملة مضارب البدو، ووجهت لهم تهمة تقديم وسائل الدعم المادي والمعنوي والبشري للمتمرد على الحكومة الشيخ قدر المجالية، الذي ما زال متوارياً عن الأنظار وتأديباً لتلك العشائر أعدمت الحكومة ستة من مشايخهم.. .
وذكر شهود عيان لمجلة ( العرفان): أن الطيور الجارحة ظلت لفترة طويلة تعيش مستقرة في وادي الكرك المطلة عليه قلعة الكرك، على حساب أجساد رجال الثورة، تشاركها الحيوانات البرية، وكانت الحكومة قد رفضت دفن ما تبقى من أجساد وعظام هؤلاء الرجال ، وكان جنود الحملة يقتلون الرجال بصور غير إنسانية، وبإسلوب لا يعبر إلا عن مدى حقدهم على الكرك وأهلها ومشايخها، ومن بين هذه الأعمال الانتقامية: كانوا يعلقون حجراً كبيراً في عنق الرجل ثم يلقون به من أعلى سور القلعة إلى الوادي بعد أن يذوق أقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي .
لم يكتف الفاروقي بالجرائم التي نفذتها الحملة الأولى والثانية لأن قائد الثورة لا يزال طليقا حراً ينتقل من مكان إلى مكان آخر وتحت حماية أمينة حتى استقر به الأمر عند عشيرة (بني حميدة) فأرسل حملة ثالثة بقيادة أمير اللواء (ناجي باشا) الذي تولى قيادة الحملات الثلاث خلفاً للقائد (صلاح الدين)، فقام بمهاجمة مضارب ومنازل المجالية والحمايدة، فلاحقت قواته جموع هذه العشائر إلى الجبال الوعرة المطلة على البحر الميت بعد معركة شديدة بين الطرفين تمكنت قوات (ناجي) من قتل أربعة أشخاص وأسر (60) آخرين وفرّ بعض أفراد عشيرة المجالي إلى الشوبك وهناك أسر الأتراك عدداً من النساء الهاربات وجاءوا بهن إلى معان .
عن هذه الحملة والتي هدفها البحث عن الشيخ قدر المجالي، يقول المجاهد أحمد الخطيب من (شبعا اللبنانية) في مذكراته وتحت عنوان (حركة التنوير العربية ودورها في العمل الوطني) ما يلي: شهدت المنطقة الجنوبية من البلاد حركات تنويرية بدأت في جبل الدروز في نهاية عام 1910 وامتدت إلى الكرك، وقد نجح قائد ثورة الكرك الشيخ قدر المجالي في توحيد العشائر فلاحية وبدوية تحت رايته، ولاحقته سلطات حكومة الاتحاد والترقي الحاقدة على العروبة والإسلام، ولكنها لم تفلح بإلقاء القبض عليه على الرغم من تفتيش بيوت ومضارب الكرك ونواحيها بيتاً بيتاً بحثاً عنه، وتجلت الشهامة العربية عندما خاطب أحد مشايخ البدو قائد الحملة الأميرلاي ناجي باشا بلا خوف على روحه وعلى جماعته بقوله: يا باشا... الشيخ قدر المجالي كبير قومه وعشيرته ونحن نفديه بأرواحنا لو كان عندنا، وحياتنا لا تساوي بعيراً أجرباً، لو كان في إجارتنا ووشينا به، ولكن الشيخ قدر لا يعرف مكانه إلا الذي خلقه، وفشل ناجي باشا كما فشل الذين جاءوا قبله بإلقاء القبض على المجالي، وجاءت ثورة الكرك لتنذر الأتراك بالخطر القادم، وهي مقدمة لهزيمة الأتراك عام 1918م بفعل الثورة العربية الكبرى، وتتجدد حالة التنوير الوطني بالثورة السورية الكبرى ضد المحتلين الجدد
وقدمت الكرك قافلة من الشهداء والتفاصيل في الحلقة القادمة..

فعاليات الثورة خارج الكرك:
مع صباح يوم 22 تشرين الثاني/ 1910م، انتشرت الثورة في المناطق المحيطة بالكرك، فهاجم رجال العشائر موظفي الإحصاء والجنود الموجودين بينهم، وقتلوا معظم جنود المفارز، واستولوا على الأوراق الخاصة بتحرير الأنفس، ثم أضرموا النار فيها.. واكتملت اللحمة الوطنية الكركية بالنخوة العربية البدوية عندما قام مشايخ العشائر البدوية المقيمة في المناطق القريبة من الكرك، بالاتصال مع الشيخ قدر المجالي الذي كان يشرف على عمليات الثورة في مكان يقابل قلعة الكرك. فوضعوا رجالهم بتصرف الثورة وقادتها وإنهم لن يكونوا أقل حمية ونخوة من غيرهم، فالثورة ملك الجميع، وأنهم سيكونون وقودها .
فهاجموا خط سكة الحديد بين محطتي الجيزة والمدورة، أي فيما بين زيزياء شمالاً والمدورة جنوباً، واستولوا على عدد منها وأشعلوا النار في بعضها، ونزعوا قضبان سكة الحديد، وقطعوا أسلاك التلغراف وحاولوا نسف الجسور، لقطع الإمدادات عن طوابير الجيش، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك لعدم وجود متفجرات بحوزتهم، وربما أنهم كانوا لا يعرفونها.
وبعد أن استكملت العشائر البدوية تجمعاتها، وتنفيذ المهمات التي قاموا بها، وبعد أن تأكدوا من تعطيل سير القطارات، توجهوا نحو الكرك لتعزيز صمود قوات العشائر الكركية، وتركوا بعض الفرسان يحرسون مضاربهم خوفاً من هجوم مباغت من قبل القوات العسكرية المتمركزة في مناطق معان والطفيلة.
الثورة في العراق
وعندما بلغ خبر الثورة إلى أهل (العراق)، هبوا لمهاجمة الجنود ولجنة الإحصاء المكلفة بتحرير نفوسهم، ونتيجة لأساليب الإرهاب والفوقية التي مارسها رجال الإحصاء بحق الأهالي، والأخطاء المقصودة في تقدير أعمار الشباب، كان رد الفعل عندهم شديداً، فقتلوا جميع أفراد المفرزة العسكرية وأفراد لجنة الإحصاء أيضاً، باستثناء مأمور الإحصاء الذي هرب واستجار بالسيدة الفاضلة حرم الشيخ (مسلم المواجدة) الذي كان مع بقية وجهاء القرية يشرفون على فعاليات الثورة في القرية، والحكاية كما يعرفها أهل العراق، تقول: كان الشيخ مسلم المواجدة، شيخ قرية العراق يراقب أعمال الهبّة على لجنة الإحصاء والمفرزة المرافقة للجنة، هرب رئيس لجنة الإحصاء مذعوراً بعد أن شاهد بأم عينيه مقتل عناصر المفرزة العسكرية وأعضاء لجنة الإحصاء، غير قادر على جرّ ساقيه، فصرخ عند مدخل منزل الشيخ مسلم المواجدة، فصرخ عند مدخل المنزل: (أنا بوجهك يا طويلة العمر.. أنا بوجه الشيخ مسلم)، وكان خمسة من أبناء القرية يلاحقونه وهم يهتفون بحياة الشيخ قدر المجالي، فرقّ قلب السيدة الفاضلة عليه وقبلت استجارته، ومنعت الشبان من النيل منه، وقالت لهم: أنتم في منزل الشيخ مسلم وطريدكم دخل المنزل مستجيراً، فهل تقبلوا قتل المستجير، وأنتم أهل نخوة؟؟ فرجع الشبان من حيث أتوا .
وقد شيعت قرية (العراق) 12 شهيداً قتلوا خلال المعارك مع المفرزة العسكرية التركية التي كانت برفقة لجنة الإحصاء.
وفي خنزيره
كانت الأمور في قرية (خنزيرة) الطيبة، تختلف كثيراً عن بقية المناطق، فلم يحدث قتلى بين الطرفين، والسبب يعود إلى اكتشاف عناصر عربية ضمن قوات المفرزة ولجنة الإحصاء وأن معظم درك المخفر من أهل حوران، ومن إقليم (البلان) وكانت توجيهات قائد الثورة الشيخ قدر المجالي بعدم الفتك بالعناصر التي تتعاطف مع الأهلين، سواء كانوا من الترك أو من العرب، وأقبلوا حماية من يلجأ منهم إليكم، واقبلوا من ينضم إلى صفوف الثوار منهم، واحرصوا على مراقبة أهل الفتنة مهما كان جنسهم ومذهبهم . وذكرت بعض الوثائق، وبخاصة ما أورده الشيخ هايل العزام في أوراقه أن عناصر الدرك في قرية خنزيرة قاموا بتسليم أنفسهم إلى شبان القرية، الذين اكتفوا بأخذ أسلحتهم وخيولهم، وأرسلوهم بأمان إلى مخفر (غور الصافي) ليلتحقوا بحاميته، أما لجنة الإحصاء فلم تصل إلى القرية، ورجعت إلى الكرك، وقيل أنها احتمت في منزل أحد الإخوة النصارى بعد أن علمت ما حدث لغيرهم، لذلك كان الهدوء سيد الموقف في هذه القرية، علماً بأنها لم تسلم من بطش القوات التركية بعد ما حدث للثورة من انتكاسة وإحباط.. .
وفي أم الرصاص
أما قرية (أم الرصاص) فالثورة فيها كانت ملتهبة، وشبابها في غضب شعبي لم تشهده من قبل، وكانوا يتهيئون للثورة منذ وصول لجنة الإحصاء إلى قريتهم. ويتحمل مسؤولية استفزازهم رئيس لجنة الإحصاء الذي كان يمارس أسلوب الإذلال وبخشونة على الشباب، حتى أنه هددهم بالسوق إلى الجندية خلال أيام. ولم يكتف بما قام به من أخطاء في تقدير الأعمار، بل أرسل إلى الكرك يطلب نجدة كبيرة!! لتأديب أهالي المنطقة لأنهم يمانعون الإحصاء ويستعدون للفرار من القرية!!
وزعم أن الشباب يهزجون بأغان شعبية لا أفهم منها إلا ترديد اسم الشيخ قدر المجالي، وأرى شيوخهم يؤيدون أفعال شبابهم، بل هم وراء تمردهم وإعاقة الإحصاء بالصورة التي أردتموها، والحل الأمثل، تخويفهم وإرهابهم بإرسال قوة كبيرة من الفرسان .
وما أن سمعوا بأنباء الثورة في الكرك وفي المناطق المحيطة بها، وفي القرى المجاورة لهم حتى قاموا قومة رجل واحد بالسلاح وبالعصي وبالحجارة وبأدوات الفلاحة، فتوجهوا أولاً إلى معسكر القوات التركية وإلى أماكن تواجد لجنة الإحصاء، ودارت بين الطرفين معركة حامية خسرت القوات التركية أكثر من عشرين قتيلاً، ومثل هذا العدد تقريباً خسرته قرية أم الرصاص وتمكنت بقية القوات العسكرية من الهرب إلى قلعة أم الرصاص وظلوا داخل جدرانها إلى نهاية الثورة دون أن يتمكن شباب العشائر من إرغامهم على التسليم. وفي هذه المواجهة تجسدت روح المحبة والإخاء والتعاون بين عشائر السلايطة والكعابنة، وبني حميدة، فشكلوا جيشاً شعبياً واحداً بقيادة موحدة من مشايخ العشائر الثلاث.
وإلى الطفيلة ومعان
وفي يومي 23 و24 تشرين الثاني، امتدت نار الثورة إلى مدينة الطفيلة وقراها، وإلى مدينة معان وقراها أيضاً.. ففي مدينة الطفيلة كاد الأهلون يفتكون بالجنود والموظفين لولا تدخل مشايخ الطفيلة الذين أتاحوا لهم البقاء داخل مراكزهم والتوقف عن متابعة الإحصاء حتى تتضح الأمور، وعاشت القوات التركية والمفارز الدركية وأعضاء لجنة الإحصاء في ظروف شبه أمنية مشوبة بالخوف والقلق، من هيجان الشباب وردات الفعل، ولكن شيخ مشايخ الطفيلة قد استجارهم جميعاً، وقدم لهم مستلزمات التأمين والغذاء لهم ولخيولهم خلال فترة أيام الثورة.
وفي مدينة معان، فقد كانت الثورة حماسية جداً، فاستجاب الشيوخ والشبان وحتى النساء لنداء الشيخ قدر المجالي، وقادة الثورة في الكرك فهتف الشبان للثورة وقادتها، فسار الشيوخ والشبان معاً إلى مواقع القوات التركية ومكاتب دار الحكومة، وقتلوا عدداً من الموظفين والجنود، ثم انتقلوا إلى محطات سكة الحديد وانتزعوا بعض القضبان، واكتفوا بسلب مكاتب الدولة ومنازل بعض الموظفين الذين كانوا يمتهنون الرشوة والتسلط على الأهلين .
وانتشرت فعاليات الثورة في كل أنحاء اللواء، في كل من الشوبك ووادي موسى، والشراة، حيث ضرب الأهلون طوق الحصار على مراكز الحكومة، وكانت عشائر الهلالات والحسنات والمراعية والنعيمات والعمارين فرسان هذه الثورة.
الخطأ القاتل
ومن الواضح أن الشيخ قدر أولى دار الحكومة والمؤسسات المدنية، مثل: البرق، والبريد، والسجن، والمسجد الكبير، والمسجد العمري، ومحطات سكة الحديد، الاهتمام الأكبر وأمر القوات الشعبية ترك القلعة حرة، مما جعل القوات العسكرية تدخلها برياحة، فتحصنت داخلها وقامت بحماية منافذها وأبوابها. وعندما حاول الثوار يوم 25 تشرين الثاني اقتحام القلعة لم يتمكنوا من ذلك، ولم يستطيعوا النيل من واحد من جنودها، لأن أبوابها ومنافذها كانت محكمة الإغلاق لا يمكن فتحها إلا بالتفجير، وهو غير متوفر لدى الثوار، ولم يحسب له ذلك، كما قال الشيخ عبد القادر المجالي.
حصار قلعة الكرك
أمام هذا الواقع الصعب، والخطأ في عدم التركيز منذ البداية على القلعة، والسماح لجنود الحامية باللجوء إلى القلعة، وقع الثوار في ارتباك كبير، فقام المجاهد ذياب الجلامدة بمقابلة الشيخ قدر في مكان تواجده وأبلغه ما يجري من محاولات لاقتحام القلعة، وطلب مشورته لتجاوز هذه المشكلة قبل أن يقوم الفاروقي بإرسال نجدات لفك الحصار عن القوات الحبيسة في القلعة، فأشار إليه الشيخ قدر بأن قوات إضافية من العشائر البدوية ستدخل الكرك قبل ظهر هذا اليوم، وهذا ما حدث فعلاً يوم 26 تشرين الثاني، إذ قام المجاهد سليمان البطوش بالاتصال مع مشايخ البدو وأبلغهم رغبة الشيخ قدر بزحف قواتهم باتجاه القلعة، والانضمام لقوات عشائر الكرك واقتحام القلعة وأسر من فيها والعمل على عدم قتل من يستسلم منهم، ولا يشهر السلاح إلا بوجه من يبادر بإطلاق الرصاص على الأهلين .
ودخلت الكرك قوات العشائر البدوية وبأعداد كثيرة، ولكن لم تتمكن القوات الشعبية المشتركة من تحريك باب واحد من أبواب القلعة. فاكتفى الثوار بمحاصرتها على أمل أن ي&#245;رغم الجوع والعطش من في داخلها على الاستسلام، إلا أن هذا التخمين لم يكن في مكانه، فصمدت القوات العسكرية ومن معها من موظفين على الجوع والعطش، واكتفت بالمؤن القليلة التي كانت بحوزة الحامية قبل الثورة، ودام هذا الصمود حتى يوم 2 كانون الثاني 1910م حين دخلت حملة عسكرية إلى الكرك بقيادة الجنرال (صلاح الدين بك)، وفكت الحصار عن القلعة، بعد معركة طويلة وشديدة، تكبدت قوات الثوار عشرات القتلى والجرحى، كما تكبدت قوات صلاح الدين بك عشرات القتلى والجرحى أيضاً، وخرج من في القلعة وهم في أشد رغبتهم لسفك الدماء، حيث كانت التعليمات لهم اقتلوا كل شيء، ولا تفرقوا بين الكبير والصغير، ولا بين المسلم والمسيحي، والكرك مستباحة لكم حتى لو لم يبق في الكرك غيركم..
وفي كثربا
أما في قرية كثربا فقد نجح المجاهدان محمد علي الطراونة وعياد باشندي في تثوير أهل القرية، وأعلنت الثورة على الحكومة، يقول في دور أهل بلدة (كثربا) في الثورة الأستاذ الكاتب ناهض حتر في دراسة له في جريدة (الشعب) الصادرة يوم الجمعة 21 آذار 1986م تحت عنوان هبة الكرك كما يرويها عودة القسوس ما يلي: أرسل المشايخ المجتمعون في عرب الطراونة، محمد بن علي الطراونة وآخر اسمه (عياد) إلى قريتي العراق وخنزيرة ليدعوا الناس هناك إلى البدء بالثورة على من عندهم من موظفين وجنود.. وبعد أن أنهى محمد بن علي الطراونة وعياد بن باشندي مهمتهما في قريتي العراق وخنزيرة واصلا سيرهما بنفس الليلة إلى قرية (كثربا) فالتقيا هناك بالجابي (عيسى أفندي) ورفيقه (توفيق جاويش) ببيت الشيخ (جبريل بن سالم الرماضنة) فبادأهما محمد الطراونة بإطلاق الرصاص عليهما وظن انه قتلهما فأخذ بسلب أمتعتهما، وفي كثربا أعلن الطراونة وباشندي عن ثورة أهل الكرك وناديا بالانضمام إلى صفوف الثوار، فسارع أهل القرية إلى الالتحاق بالثوار .
رسائل ترضية
أمام هذا الواقع المرير والمأساوي لمتصرف اللواء، أخذ يبحث عن وسائل للترضية وتهدئة الخواطر، فبعث برسالة إلى الشيخ قدر المجالي وأخرى للشيخ حسين الطراونة، وثالثة للسيد عودة القسوس. وتضمنت الرسائل عتبه على مشايخ الكرك لأنهم أعلنوا الثورة على الحكومة، ويسأل في رسالته إلى الشيخ قدر عن مطالبه ورغبات أهل البلاد، ويتمنى عليه أن يوقف عمليات الثورة مقابل تحقيق كل مطالبه، إلا أن الشيخ قدر لم يأخذ برسالة المتصرف واعتبرها صادرة عن رجل ضعيف الشخصية ولا يملك حرية القرار في شيء وإنما يريد أن ينقذ نفسه من أخطاء كثيرة قد يحاسب عليها من قبل السلطات أو الوالي، بالإضافة إلى حماية نفسه من الثوار.
أما عن دور نساء الكرك، فكان لا يقل ثورية عن دور الرجال، يقول هايل العزام عن دور نساء الكرك: وكان حماس النسوة أكثر من حماس الرجال، فأقدمن على وضع رماد النار في علائق خيول الفرسان بدلاً من مادة الشعير لإشعال صدور الخيول بالحرارة والهيجان.
وفي 4 كانون الأول، اندلعت الثورة في قرية (سيدنا جعفر) وفي قرية (مدين) حيث تحركت جموع العشائر من شرق الكرك لدعمها في القرية، وفي 5 كانون الأول وجه المتصرف محمد الطاهر بياناً إلى المواطنين، وإلى قادة الثورة لبحث شروط السلام، والتفاصيل في الحلقة القادمة.

استقالة الشيخ قدر من لجنة الإحصاء
كان قائد الطوابير العسكرية أمير اللواء شاكر باشا، يحمل في جيبه أمراً عسكرياً عرفياً يتضمن تنفيذ المهمة الأولى وهي تحرير نفوس الأهالي (الإحصاء السكاني) وعند نجاح هذه المهمة يبدأ تنفيذ المهمات الأخرى. فشكل لجان الإحصاء وكانت كل لجنة تتألف من مأمور للإحصاء وكاتب من ملاك المتصرفية، وضابط من الجيش يقود مفرزة عسكرية ترافق لجنة الإحصاء ومهمة هذا الضابط ومفرزته إرهاب الأهالي، وفرض هيبة الدولة .
رغب الشيخ قدر أن يكون عضواً في اللجنة التي يرأسها (خيري بك) مأمور الإحصاء العام، وذلك من أجل الاطلاع مباشرة على أهداف ونوايا الحكومة، وأمر الأعضاء من الأهالي أن ينقلوا إليه مباشرة تجاوزات اللجان الحكومية وسلوكية الجنود مع الأهلين، ومنذ اليوم الأول لبدء عملية الإحصاء بدأت التجاوزات والنوايا غير الحسنة التي بدأت تصل تباعاً إلى الشيخ قدر، ومن بينها، كما وردت في مذكرات شاهد العيان عودة القسوس، وأشار إليها الدكتور علي سلطان في كتابه (تاريخ سورية) كما أشار إليها سليمان الموسى في كتابه (الأردن في القرن العشرين) ونختصرها بالتجاوزات التالية:
- كان مأمور الإحصاء يتجاهل رأي ومشورة (العضو الأهلي)، بل كان يشعره بعدم فائدته للجنة الإحصاء، لأن الأوامر تقتضي أن يكون مرافقاً لا أكثر.
- كان مأمور الإحصاء يجتهد عند تقدير السن، حيث يحسبه ضمن نطاق الخدمة العسكرية، أي بين سن 20 و45 سنة، فالشاب الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، يقدر ويسجل سنه بالعشرين عاماً، والشيخ الذي تجاوز سنه 55 عاماً، كان يقدر سنه بـ 45 عاماً، أو بأقل من ذلك وإذا اعترض الشخص على تقدير سنه تعرض للضرب والإهانة من قبل جنود المفرزة المرافقة، وإذا اعترض (العضو الأهلي) على هذه التقديرات غير الصحيحة، لا يقبل اعتراضه حتى ولو كان الشاب ابنه أو شقيقه .
- قام مأمور الإحصاء المعين لإحصاء نفوس عشائر السلايطة والكعابنة في منطقة (خربة ام الرصاص) بإرهاب الشباب وزرع في أذهانهم الخوف وأبلغهم بصراحة أن الحكومة عازمة على تجنيدهم وسوقهم إلى الجندية ونقلهم إلى ميادين الحرب في البلقان واليمن وعسير وأظهر خشونة مع كبار السن، وقلل أدبه مع مشايخ ووجهاء العشيرتين، وأمام هذه التجاوزات المقصودة، قرر مشايخ السلايطة والكعابنة، الاستئناس برأي ومشورة الشيخ قدر المجالي، بالامتناع عن التعاون مع لجنة الإحصاء وطردهم من مضاربهم، فجاءت موافقة الشيخ قدر بالامتناع عن إحصاء نفوسهم.. وعندما كثرت الشكاوي من الأهلين على لجان الإحصاء وأسلوب الإرهاب من قبل جنود المفرزة العسكرية، توقف الشيخ قدر عن عمله في اللجنة التي يرأسها (خيري بك) وذهب إلى متصرفية اللواء، وهدد المتصرف وأمير اللواء شاكر باشا بالاستقالة إذا استمرت لجان الإحصاء بالتجاوزات وبإهانة مشايخ العشائر، فوعد المتصرف أن يقوم بنفسه بمراقبة أعمال اللجان، ولما علم (خيري بك) مأمور الإحصاء العام بانتقادات الشيخ قدر المجالي زاد من تجاوزاته، فأخذ يتعمد الإساءة للشيخ قدر شخصياً، ويتجاهل وجوده كعضو في اللجنة، وعندما كثرت تحدياته المقصودة للشيخ قدر، شعر رجال عائلة المجالي، بأن الحكومة عازمة على الانتقاص من هيبتهم وسلبهم نفوذهم العشائري التقليدي، وما تصرفات (خيري بك) إلا بداية سوء النوايا تجاه الشيخ قدر وعشيرته أولاً، وتجاه عشائر الكرك بعامة أخيراً، أمام هذا الوضع المأساوي قرر الشيخ قدر تقديم استقالته رسمياً من لجنة الإحصاء احتجاجاً على تصرفات مأمور الإحصاء العام (خيري بك) وعلى تصرفات أمير اللواء (شاكر باشا) الذي بدلاً من مسايرة وإرضاء مشايخ السلايطة والكعابنة، أرسل قوة من جنود الفرسان تزيد عن المائة عسكري لتعزيز لجنة الإحصاء في خربة أم الرصاص. واستعمال القوة مع العشيرتين إذا لزم الأمر . يقول الماضي والموسى في كتابهما، صفحة 21 كل هذه الأسباب دفعت شيوخ الكرك إلى التفكير جدياً بالثورة، فأخذوا يتباحثون ويقلبون الأمر على جميع الوجوه، حتى قرروا أخيراً أن يقوموا بثورة عامة غايتها الفتك بجنود الدولة والتخلص من هذه الإجراءات التي تهدف إلى استعبادهم وتشتيتهم والقضاء على مقومات حياتهم الطبيعية. وقد تعين يوم الثلاثاء الموافق يوم 23 تشرين الثاني 1910، موعداً لقيام الثورة . وكان الشيخ قدر قد قدم استقالته قبل ذلك بعشرة أيام، وهي كافية لتعبئة العشائر الكركية وتجهيز أفرادها بالانقضاض على لجان الإحصاء وعلى الطوابير العسكرية.
يوميات ثورة الكرك
يوم 13 تشرين الثاني، قدم الشيخ قدر المجالي استقالته من عضوية لجنة الإحصاء وكان الهدف الأساس هو التفرغ والتخطيط للثورة المتفق عليها مع مشايخ عشيرته أولاً ومشايخ بعض العشائر الكركية، ولكي تشمل فعاليات الثورة معظم مناطق وأقضية ونواحي اللواء وبخاصة الجنوبية منها.
وفي يوم 14 تشرين الثاني 1910م، عقد الشيخ قدر اجتماعاً رباعياً مع الشيوخ ساهر المعايطة ومحمود طه الضمور، وعبد القادر المجالي، وإبراهيم المجالي، وعرض عليهم خطته الهادفة تعطيل أعمال اللجان الإحصائية، والقضاء على الطوابير العسكرية بقوة السلاح، ووافق الجميع على إعلان الثورة على الحملة الفاروقية، واقترح الشيخ عبد القادر المجالي أن تعرض الخطة على بقية مشايخ الكرك حتى تكون المسؤولية جماعية، يتحملها الجميع، المسلم والمسيحي، والفلاح والبدوي.
في 16 تشرين الثاني، عقد الاجتماع التاريخي في ديوان الشيخ قدر، حضره معظم مشايخ ووجهاء الكرك، وكانت فرصة ثمينة حققها الشيخ قدر برجاحة عقله وحسن تفكيره، للمصالحة بين العشائر المتناحرة منذ زمن بعيد، وهذه الخطوة التوفيقية كانت من الأسباب المهمة في انتشار الثورة في كل المناطق الجنوبية، وبين جميع العشائر الكركية، والعشائر المجاورة.
بداية اللقاء، ناقش المجتمعون الأوضاع العامة السيئة التي تعيشها المنطقة، وآخرها الأوضاع التي فرضها بالقوة سامي الفاروقي بالطوابير العسكرية التي جاءت إلى الكرك بحجة الإحصاء، وفي نهاية الاجتماع اتفق المجتمعون على إعلان الثورة، أو رفض الإجراءات التي رافقت عملية الإحصاء، وقدّم الشيخ قدر شرحاً وافياً للخطوات الواجب تنفيذها وهي:
1- ي&#245;عين يوم الثلاثاء الموافق 23 تشرين الثاني 1910م موعداً لقيام الثورة على أن تقوم كل عشيرة بمهاجمة الجنود والموظفين المتواجدين في أراضيها والفتك بهم، ثم المبادرة بحشد جميع الرجال لمهاجمة قوات الدولة المتمركزة في قلعة الكرك.
2- العمل بالحيلة على تشتيت القوات العسكرية وإخراجها من الكرك إلى المناطق الأخرى بحجة تأمين الأمن والاستقرار، وإشعار المتصرف وقائد الطوابير العسكرية أمير اللواء شاكر باشا، بأن المناطق خارج الكرك تعيش حالة من الفوضى وبحاجة إلى قوات إضافية لاستكمال عملية الإحصاء بأمان، والهدف من ذلك تسهيل السيطرة على الكرك والاستيلاء على مكاتب الدولة وحرق محتوياتها وبخاصة ثبوتيات الإحصاء وتحرير النفوس.
3- يقوم الشيخ قدر المجالي بزيارة عمل خاصة إلى مضارب عشائر الصرايرة والطروانة، والضمور، وذلك من أجل البحث في تفاصيل الثورة، والبدء في اختيار الرجال القادرين على حمل السلاح، وتهيئتهم ليوم الزحف على مؤسسات الدولة، وبخاصة مهاجمة القلعة والسيطرة عليها.
4- إعلان روح المهادنة والتظاهر بقبول الإجراءات المرافقة لعملية الإحصاء، وذلك من خلال زيارة المتصرف وقائد القوات العسكرية وذلك من أجل إبعاد الشبهة عن تحركاتهم بين العشائر، وتأمين وسائل إنجاح الثورة، من سلاح ورجال.
وفي يوم 21 تشرين الثاني، قام الشيخ قدر بزيارته المقررة إلى عشائر الضمور، والصرايرة، والطروانة، في بلدة المزار، وعقد اجتماعاً مع مشايخ العشائر المذكورة لشحن النفوس والاستعداد للثورة، وبين لهم مهمة كل عشيرة في يوم الثورة، وزاد من حماس الرجال أن خرجوا من مضاربهم وأخذوا يهتفون بحياة الشيخ قدر، ويلوحون بأسلحتهم وهم يقولون: طاب الموت يا عربان الكرك.. المنية ولا الدنية .
وفي ذات اللحظة، مر أحد الضباط الأتراك ومعه خمسة جنود يركبون البغال وهم بطريقهم إلى الطفيلة، فلم يتمالك شبان العشائر أنفسهم فهاجموا أولئك الجنود وقتلوهم وسلبوا بغالهم .
وهذه الحادثة قدمت يوم الثورة، فأعلنها الشيخ قدر من المزار ومؤتة فأعلن الزحف على الكرك، وأرسل الرسل إلى أهل قريتي (عراق) وخنزيره (اسمها اليوم الطيبة) كي يحذوا حذوهم.. وتوجه الشيخ قدر ورجال عشائر الصرايرة والضمور والطراونة فبلغوها منتصف ليلة 21 تشرين الثاني، وفي الفجر، بدأ الهجوم على دار الحكومة، فلم يلبثوا أن احتلوها وقتلوا من فيها، وأحرقوا كافة الأوراق الرسمية وسجلات الإحصاء وغيرها من ملفات دار الحكومة . وعند ظهيرة ذلك اليوم، تجمعت فلول القوات التركية بالقرب من القلعة، وشنت هجوماً على دار الحكومة لتحريرها من الثوار، ونشبت معركة بين الطرفين، استعمل الجنود فيها سلاح الرشاشات، إلا أن الثوار دمروا القوات المهاجمة، وارتد الجنود وقائدهم إلى القلعة، حيث تم حصارها من جميع جوانبها، وأصبح من فيها بحكم الأسرى، ثم أصدر قائد الثورة قراره بالتوجه إلى مركز القيادة العسكرية، ودار البرق والبريد، والسجن، وحرروا السجناء وأسروا الجنود الذين رفضوا الاستسلام لقوات الثورة. ثم توجه الثوار إلى أماكن تواجد لجان الإحصاء، وصادروا كل أوراقهم وأحرقوها ثم عادوا إلى السرايا، بعد تنفيذ المهمات، تحسباً لحملات محتملة سترسلها الحكومة.
وتحت عنوان: ماذا جرى في الكرك المدينة؟؟ يقول عودة القسوس في مذكراته ما يلي: بعد أن لاقى الضباط سعيد أفندي ومن معه حتفهم في قرية المزار، زحف الشيخ قدر ورجال عشائر الصرايرة والطراونة والضمور المتواجدين هناك بسلاحهم على مدينة الكرك، وتوقفوا قليلاً عند أسوارها يتباحثون في كيفية دخولها، فقارب الليل أن ينتصف، فتسلل أحد أخوان الشيخ حسين الطراونة ودخل المدينة ليقف على أحوال أخيه حسين وعائلته الذين كانوا في بيتهم القريب من السور الجنوبي، وطلب إليه أن ينسحب مع أفراد عائلته، وكان ذلك ليلة الاثنين الواقع في 22 تشرين الثاني سنة 1910م، فذهب حسين إلى بيت المفتي الشيخ صالح المجاور له وأخبره بآخر الأنباء فذهب معه في الحال إلى بيت المتصرف الذي كان نائماً في تلك الساعة، فأيقظاه من نومه ونقلا إليه آخر الحوادث وأنذراه بقدوم الثوار إلى المدينة، فأرسل هذا وأخبر القائد شاكر باشا فلم يصدق هذا الخبر فجاء إلى بيت المتصرف واجتمع بحسين والقاضي والمتصرف، وبدأ يستفسر عن صحة هذه الأنباء من حسين، وعند خروج الأخر مرّ بآخر شارع الخضر (الشارع الشرقي) فالتقى بأفراد الثوار وكانوا من عشيرة الطراونة، فجعلهم يتراجعون إلى مشارف المدينة خارج السور، وعاد إلى بيت المتصرف ووجه إليه وللقائد (شاكر باشا) إنذاراً أخيراً، وكانا ما يزالان جالسين يتحدثان في احتمالات المجابهة إذا صحت الأخبار.
ولما لاح الفجر سمع إطلاق الرصاص بغزارة على دار الحكومة المجاورة لمنزلي المتصرف والقائد، فأخذا يختفيان خلف الخزائن والأبواب وتحت المقاعد خوفاً من صليات الرصاص التي كانت تقتحم نوافذ البيت، أما حسين فقد تمكن في بادئ الأمر من الخروج عن سلم خشبي والوصول إلى خارج البيت. وقد تزايد عدد الثوار واقتحموا دار الحكومة وقتلوا من فيها من الجنود، وأحرقوا الدفاتر الرسمية، وكان الحماس بالغاً أشده فحاصر الثوار القلعة مراراً حتى عجزت حاميتها عن المقابلة بالمثل.. وبلغ بهم الغرور مبلغاً وأخذوا ينشدون:
يا سامي باشا لا نطيع ولا نعد عيالنا
لعين مشخص والبنات ذبح العساكر كارنا
استمر حصار القلعة واستولى الثوار على مدينة الكرك حتى صباح الأول من كانون الأول سنة 1910م .
أما فعاليات الثورة خارج مدينة الكرك، فستكون عناوين الحلقة القادمة

من المؤسف أن بعض الحكام كانوا عرباً بلحمهم وأجسادهم، غرباء عن العروبة بالانتماء والفكر والعقيدة، ومن بينهم كان المتصرف (محمد طاهر بن أحمد آغا بن قدار) من أهالي مدينة دمشق، ويبدو أنه كان ضعيف الشخصية والإدارة والتجربة، حتى أنه كان بهذا المستوى من الضعف عندما كان قائمقام قضاء السلط عام 1880 و1881م، واتهمه قدر المجالي بعدم المعرفة بالشؤون العشائرية وقضايا المجتمع البدوي والزراعي (الريفي)، فبدلاً من أن يقدر الظروف الخاصة في لواء الكرك ويطلب تأجيل تطبيق الإجراءات التي طبقها الفاروقي في جبل الدروز على لواء الكرك، قام بدعوة هيئة مجلس الإدارة، وهيئة المحكمة، وشيوخ البلاد لعقد اجتماع عاجل حيث تلا عليهم برقية سامي باشا الفاروقي، وطلب منهم إبداء رأيهم في الموضوع كتابة، ورغب إليهم أن يجتمعوا في دار البلدية كي يتداولوا الأمر بروية .
كانت برقية سامي الفاروقي إلى متصرف اللواء تتضمن الطلبات التالية:
1- إحصاء النفوس.
2- تجنيد شباب اللواء وسحبهم إلى مواقع البؤر المتوترة في البلقاء.
3- جمع الأسلحة من الأهالي.
4- تحرير الأراضي والأملاك الخاصة.
وفي 7 تشرين الثاني 1910م، اجتمع مشايخ الكرك برئاسة الشيخ قدر المجالي وشارك بالاجتماع المشايخ: ساهر المعايطة، محمود الضمور، حسين الطراونة، علي النوايسة، منصور بن طريف، محمد البحيري، عبد القادر المجالي، إبراهيم المجالي، درويش الجعافرة، وشخصيات أخرى.
عرض الشيخ قدر على المجتمعين مناقشة طلبات الفاروقي والذي زعم بأنها رغبة السلطان. وقبل مداخلات المشايخ أعلن الشيخ قدر رفضه ومعارضته شكلاً ومضموناً أسلوب الدعوة التي وجهها المتصرف لهم، واعتبرها بعيدة عن اللباقة الرسمية كونها جاءت بأسلوب صيغة الأمر، وليس بأسلوب المشورة وبيان الرأي، وقال الشيخ قدر: نحن نرفض تسليم سلاحنا إلى السلطة، لأن هذا السلاح هو شخصي وللدفاع عن الأنفس والأرض والعرض، ولا يصلح أن يكون من ضمن أسلحة الجيش والدرك . ثم فتح باب المناقشة والحوار.
انقسم المشايخ إلى قسمين بالرأي: القسم الأول ويرى بعدم الاستجابة لمجمل طلبات الفاروقي مهما كلفت الأمور من عواقب قد تتخذها السلطات الحكومية ويتزعم هذا الجناح الشيخ قدر المجالي، والشيخ محمود الضمور، والشيخ ساهر المعايطة الذي انسحب من الجلسة، وخاطب المشايخ بعصبية وقال: هذه مخططات إجرامية ولا تستهدف إلا هيبتنا وإذلالنا، ويجب محاربتها حتى ولو بقوة السلاح والعصيان والامتناع عن الإحصاء، ولن نسلم أسلحتنا ولو على أرواحنا، نحن كلنا وباسم عشيرتي نؤيد ونشد على أيدي شيخنا قدر، والأرواح بيد الله .
أما الجناح الثاني يرى ضرورة الاستجابة لطلبات الحكومة إلا تسليم السلاح إلى السلطة، ويتزعم هذا الجناح الشيخ إبراهيم المجالي والشيخ حسين الطراونة، وذلك من منطلق المحافظة على الناس، خوفاً من بطش الحكومة . وحذر الشيخ عبد القادر المجالي من أن تسوق الدولة عليهم قواتها وتفعل بهم كما فعلت بالدروز والحوارنة، وقال: إن الحكومة تبحث عن مبرر لها كي تنال من الشيخ قدر وعائلته ويجب تفويت الفرصة على الفاروقي والمتصرف أيضاً، أما إذا أصرت الحكومة على جمع الأسلحة من الأهالي، فأنا مع ما يقرره الشيخ قدر .
سليمان الموسى يقول في كتابه المشترك مع منيب الماضي (الأردن في القرن العشرين) أن أقرباء الشيخ قدر كانوا يخشون مغبة الرفض، ويتوقعون أن تسوق الدولة العثمانية عليهم قواتها وتفعل بهم كما فعلت بالدروز،ولهذا فإنهم أخذوا منه (من قدر المجالي) خاتمه ووقعوا المضبطة .
إذن.. الشيخ قدر لم يوقع على كتاب الموافقة على إجراءات الفاروقي، إنما أ&#245;خذ منه ختمه من جيبه دون أن يدري، ووضع ختمه وكان المتصرف يعرف ذلك ولكنه أخفى هذه الحقيقة في تقريره إلى الوالي.
تقرير متصرف اللواء
أعدّ متصرف اللواء محمد الطاهر تقريراً عن أحداث الكرك، وأرسله إلى القسم السياسي في وزارة الداخلية في استانبول عن طريق والي دمشق إسماعيل فاضل، ويتألف التقرير من 18 صفحة، وهو التقرير الثاني من محتويات الملف رقم 3-3/61 المحفوظ في الأرشيف العام للدولة العثمانية، وهذا التقرير فيه الكثير من المغالطات والمعلومات غير الدقيقة بل وغير الصحيحة، وإخفاء الحقيقة، حيث تعمد (الطاهر) على ذكرها في تقريره، خوفاً من المساءلة القانونية وبخاصة عملية التزوير والطريقة التي تم بها وضع خاتم الشيخ قدر على العريضة.
ويشير المتصرف في تقريره إلى أنه دعا إلى اجتماع مجلس إدارة اللواء المؤلف من أربعة أعضاء من أهالي الكرك، والمفتي، وثلاثة من مسؤولين من متصرفية الكرك، بالإضافة إلى هيئة المحكمة برئاسة (عثمان شريف أفندي)، ومعاون المدعي العام (أحمد كامل أفندي) وشيوخ ووجهاء الكرك، ويقول المتصرف في تقريره:
إن الاجتماع عقد صباح يوم الاثنين 25 تشرين أول مالية/ 7 تشرين الثاني ميلادية، في دار البلدية، حضره عدد من شيوخ وأعيان الكرك، بما في ذلك رؤساء ووجوه الطوائف والعائلات المسيحية، وكانت نتيجة الاجتماع الموافقة على تطبيق الإجراءات، وخرج المجتمعون بتوقيع مضبطة تتضمن الموافقة على الأوامر الواردة برقياً من جانب سامي باشا، بمن فيهم الشيخ قدر بن صالح المجالي، شيخ مشايخ عشائر الكرك .
أجمعت الرسائل التي وصلتني من عائلة المجالي، على أن ما ورد في تقرير المتصرف لا يمت إلى الحقيقة أبداً، وأن شيوخ ووجهاء الكرك رفضوا صيغة برقية سامي الفاروقي إلى المتصرف، وأن مناقشتها مع المتصرف استمر إلى صباح يوم الثلاثاء 8 تشرين الثاني، فالشيخ قدر لم يوقع على البرقية، أما تواقيع الشيخ محمود طه الضمور والشيخ ساهر المعايطة، فجاءت بعد أن شاهدا ختم قدر على المضبطة. ويروي (بيتر) في كتابه (السياسة والتغيير في الكرك) ترجمة الدكتور خالد الكركي، خلال حديثه عن ثورة الكرك بأن الذين حضروا الاجتماع عبروا جميعاً عن عدم موافقتهم على نص برقية الفاروقي .
وكان الشيخ قدر قد اعترض على مقدمة برقية الفاروقي إلى المتصرف، واعتبرها مخاطبة السيد للعبد، وليس مخاطبة ممثل السلطان إلى الرعية، فماذا قال الفاروقي في مقدمة برقيته)؟؟
كانت البرقية باللغة التركية وترجمتها ما يلي: إنه لاختبار درجة الطاعة من قبل أهالي الكرك والقرى التي حولها، والعشائر التي تسكن في تلك الديار، إبداء الرأي لجمع الأسلحة من الأهالي، وتحرير النفوس وإعداد الجداول بذلك للمطالعة وسرعة الإجابة .
نص العريضة التي أرسلت إلى الحكومة بالنيابة عن عشائر الكرك
تبين فيما بعد، ومن خلال التحقيقات التي أجرتها الحكومة، أن العريضة كتبها متصرف اللواء بخط يده، وكانت معدة سلفاً وقبل اجتماع البلدية وأن معظم التواقيع أخذت بالقوة والتهديد، باستثناء أختام قدر المجالي وساهر المعايطة ومحمود طه الضمور، فقد أخذت بالحيلة والخداع، وقد استغرب مشايخ الكرك الصيغة الإذلالية التي كتبت فيها المضبطة، وهذا نصها الحرفي:
المعروض مقدمية مشايخ وأعيان ووجوه أهالي الكرك.
هو أننا بهذا اليوم قد تبلغنا الأوامر الواردة تلغرافياً من جانب سامي الفاروقي القائد العام للحملة الحورانية، من طرف مقام المتصرفية العلية، المتضمن الاستفسار عن درجة طاعتنا للحكومة السنية، بتحرير النفوس وجمع الأسلحة، وحيث أنه لا يخفى على كل فرد عثماني خلوص عبوديتنا للسدة العثمانية حتى مما يوجب فخرنا محافظتنا على هذه التابعية من قبل تشكيل هذا اللواء ومن بعد تشريف الحكومة لحد الآن لم نأتي قط يوماً ما يخالف أوامر الحكومة السنية، لاسيما الآن بزمان المشروطية والمساواة. فلا لنا مندوحة أبداً عن اقتفاء والامتثال بكافة ما تأمرنا وتكلفنا به الحكومة السنية، إن كان من تحرير النفوس أو تحرير أملاك. وأما جمع الأسلحة هو متوقف على تأميننا من شر العربان المحيطة في بلادنا، وعلى الدوام تسطو علينا وهم السبب الوحيد لحملنا السلاح.
وإشعاراً بخلوص عبوديتنا أتينا بعريضتنا، به شاعرين استعدادنا لفداء الدولة بمالنا وأرواحنا، ولنا الثقة التامة بأن الحكومة تقدر لنا هذا الإخلاص حق التقدير، وتتعطف على فقرنا حتى تتكرم علينا بمعافاتنا من رسوم التحرير رأفة بحالنا وبكل ما نحن وديعة الدولة وأمانة السلطان .
ويشير تقرير المتصرف إلى أسماء الذين وقعوا العريضة، وهم:
قدر المجالي، رفيفان المجالي (رئيس البلدية)، فريوان المجالي، حسين الطراونة، ساهر المعايطة، محمود طه الضمور، إبراهيم القسوس، بطرس الصناع، يوسف المعايطة، الأب أفمتبوس (رئيس طائفة الروم) داود مبيضين، مصطفى الجعفري، يوسف حجازين، حنا عودات، متري زريقات، عودة القسوس، علي يونس، عيسى زيادين، يعقوب مدانات، عبد الله عكشة، عطا الله الطراونة، سلامة المعايطة، إسحاق مدانات، درويش حباشنة، سالم الصرايرة.
وقد أوضح الشيخ هايل العزام أن معظم الذين جاء ذكرهم في العريضة لم يحضروا اجتماع البلدية وإنما قام الضابط التركي جلال الدين، قائد الموقع العسكري في الكرك، بجولة على منازلهم وأخذ تواقيعهم بالقوة، وأبلغهم أن الشيخ قدر المجالي وضع ختمه في قائمة العريضة، حتى أن هذا القائد العسكري أخذ تواقيع بعض الشخصيات المسيحية وهم في الكنائس، لذلك تجد أن أغلبية الذين جاءت تواقيعهم على العريضة هم من الإخوان النصارى .
ويشير تقرير المتصرف إلى أن المضبطة تم تصديقها من قبل رئيس وأعضاء مجلس إدارة اللواء قبل رفعها إلى قائد الحملة العسكرية، وهم: محمد طاهر بك (المتصرف ورئيس المجلس)، محمد شكري بك (نائب المتصرف، عضو معين)، محمد محي الدين (المسؤول المالي، عضو معين)، محمد خيري (مدير التحريرات، عضو معين)، محمد صالح (المفتي، عضو معين)، مصطفى الجعفري (عضو منتخب)، يوسف المعايطة (عضو منتخب)، عودة القسوس (عضو منتخب)، عيسى زيادين (عضو منتخب)، رفيفان المجالي (رئيس البلدية)، جلال الدين (قائد الحاميات العسكرية في الكرك)، محمد فؤاد (قائد قوات المشاة في الكرك).
رفعت العريضة (المضبطة) إلى سامي الفاروقي، والمخيم بقواته في مدينة السويداء بجبل الدروز، وعندما رأى تواقيع وأختام مشايخ الكرك، وفي مقدمتهم الشيخ قدر المجالي، قال للقائد العسكري اللواء شاكر باشا: أنت ذاهب إلى منطقة لا تعرف الضبط والربط، وأهلها خليط من الجنسيات والمذاهب، فيهم الدمشقي، والنابلسي، والخليلي، وفيهم الفلاح، والبدوي، ومنهم المسلم والمسيحي، ولكنهم جميعهم يرغبون الخروج عن الطاعة، فاعتادوا على حكم العشيرة فلا ترحم صغيرهم قبل كبيرهم، ولا يغرك الكلام المؤدب في عريضتهم، فلم يكتبها أحدهم، ولكن المهم أختامهم وتواقيعهم عليها، ثلاثة طوابير كافية لتأدية المهمات، وبالسرعة الممكنة .
وصدق الفاروقي في قوله: فلم يكتبها أحدهم بل كتبها محمد الطاهر، وأخرجها محمد خيري مدير التحريرات، ودققها مكرهاً المفتي محمد صالح.
ثلاثة طوابير عسكرية، تحركت من جبل الدروز باتجاه الكرك، يقودها أحد قادة الجيش العثماني وهو اللواء شاكر باشا، المعروف بالتعنت والبطش والشجاعة أيضاً. ثلاثة طوابير عسكرية تزحف بأسلحتها على مدينة هادئة صغيرة لا يتجاوز سلاح أهلها بضع بنادق أقتنيت للدفاع عن النفس لا من أجل الحرب، لا يعني في العلم العسكري غير إعلان الحرب على الشعب.
وأسئلة كثيرة طرحها الشيخ قدر المجالي بعد أن شاهد هذه الطوابير العسكرية تدخل الكرك بأسلوب همجي بعيداً عن سلوكية وظيفة الجيش تجاه الشعب ورعية السلطان، ماذا يتوقع الوالي إسماعيل فاضل، وسامي الفاروقي، وعبدهما محمد الطاهر، من منطقة لم تكن يوماً مطواعة للظلم والقهر والإذلال؟ هل يتوقع شاكر باشا أن يلاقي في الكرك أقل مما لاقاه هو وطوابيره العسكرية في سهل حوران؟؟ ليس إلا العصيان والهبّة على هؤلاء الغزاة؟ فالطاعة الصادقة لا تؤخذ بالقوة والتهديد.
ورفضت عشائر الكرك استقبال لجان الإحصاء، واستعجل قدر المجالي إعلان الثورة قبل موعدها المقرر، والتفاصيل في الحلقة القادمة

تابع أسباب ثورة الكرك
ذكرنا في الحلقة الماضية أن من بين أسباب ثورة الكرك عام 1910م، بقيادة الشيخ قدر المجالي كانت السياسة التركية تجاه العرب، وقطع رواتب الشيوخ ووجهاء العشائر في الكرك، وضعف الإدارة وفسادها، أما السبب الثالث من الأسباب الداخلية للثورة:
إلغاء نتائج الانتخابات التي أفرزت الشيخ قدر لعضوية مجلس إدارة الولاية
كانت بلاد الشام مقسمة إلى ثلاث ولايات هي: دمشق، وحلب، وبيروت، وإلى جانب هذه الولايات كانت هناك المتصرفيات وهي عبارة عن مناطق إدارية، لها كيان خاص، كمتصرفية القدس على سبيل المثال، ونظراً لأن طريق الحج الشامي كان يخترق الكرك، فقد جعلها الأتراك متصرفية قائمة بذاتها وجعلت حدودها كما يقول المفكر العربي (ساطع الحصري) في كتابه (البلاد العربية والدولة العثمانية) صفحة 142 وكانت متصرفية الكرك من وادي السرحان شرقاً، ونهر الأردن و البحر الميت ووادي عربة غرباً، ونهر الزرقاء (بين عمان وإربد) شمالاً، ومدائن صالح وتبوك جنوباً. وقد ضمت متصرفية الكرك أقضية معان، والسلط، والطفيلة، وناحية واحدة، وخمساً وعشرين قرية . وذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم في كتابه (التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني، صفحة 181 أن الباب العالي منح المتصرفيات حكماً خاصاً، فجعلها أقساماً إدارية قائمة بذاتها تابعة للباب العالي أسوة بالولايات .
كانت الانتخابات في الكرك غير معروفة وغير محببة أيضاً، لأنها مخالفة لعادات وتقاليد المجتمع العشائري، وهي مستوحاة من الحياة الأوروبية الحديثة ولكن تمشياً مع الحياة السياسية الجديدة، جرت انتخابات أول مجلس عام لولاية سورية عام 1908م، وكان هذا المجلس بمثابة مجلس نواب لإدارة الولاية، وكان يتألف من أربعة أعضاء عن كل لواء، وكانت مجالس الإدارة في الأقضية هي التي تنتخب أعضاءه. وقد جرت الانتخابات لعضوية هذا المجلس مرتين مثل لواء الكرك في المرة الأولى، عودة القسوس عن الكرك، ويوسف سكر عن السلط، وعبد الغني النسعة عن معان، وعبد المهدي المحمود عن الطفيلة، وكان الشيخ قدر أول الناجحين في هذه الانتخابات، إلا أن الوالي إسماعيل فاضل لم يعترف بنتائج فوز الشيخ قدر بأكثرية الأصوات. فأقدم على شطبه من عضوية المجلس، وقد أثار قرار الوالي سخطاً شعبياً عارماً، واعتبر تصرف الوالي تدخلاً في اختيارات الأهلين ورغبتهم، فأجمعت المصادر التي أرّخت لثورة الكرك على أن قرار الوالي هذا كان سبباً من أسباب الثورة، فقال الأستاذ كامل خلة في كتابه (التطور السياسي لشرق الأردن) صفحة 8 ما يلي:
من بين أسباب ثورة الكرك عام 1910م، رفض والي سورية إسماعيل فاضل باشا الموافقة على تعيين قدر المجالي شيخ مشايخ الكرك عضواً لمجلس إدارة الولاية عن لواء الكرك، بعد أن فاز بأكثرية الأصوات .
ولكن لماذا اتخذ الوالي هذا الموقف المعادي من قدر المجالي؟؟
بالتأكيد عندما يكون شيخ مشايخ الكرك عضواً في هذا المجلس، فهذا يعني للسلطات العثمانية، أن بقية الأعضاء من لواء الكرك سيكونون تحت سيطرته ولو معنوياً، لأن منطق الولاء العشائري في الكرك آنذاك أقوى من الولاء للدولة .. والخوف عند الوالي كان على هيبة الدولة، لأن متصرف اللواء محمد الظاهر كان ضعيف الشخصية، إذا قورن بشخصية الشيخ قدر المجالي، هذا بالإضافة إلى أن الوالي إسماعيل باشا كان يعرف موقف الشيخ قدر من سياسة الحكام تجاه الكرك وهي سياسة الحذر والخوف..
الإرهاق الضريبي
كان من شروط الشيخ المجالي على السلطات أن لا تزيد من قيمة الضرائب على الأهلين، وأن لا تسن قوانين جديدة بفرض ضرائب غير الضرائب المطبقة بموجب القانون العثماني لسنة 1816م، علماً بأن السلطات لم تحترم تعهدها القديم، حيث فرضت عام 1910م أي عام الثورة، إضافة 25 بالمائة على ضريبة المسقفات باسم الأسطول، ثم أضيف ستة في المائة باسم تجهيزات عسكرية، وعشرة في الألف على الدكاكين والدور المعدة للإيجار.
وفي شهر شباط 1910م، اجتمع الشيخ قدر في ديوانه مع زعماء ووجهاء العشائر الكركية لمناقشة الإجراءات الضريبية الجديدة فاتفقوا على رفض الزيادات على ضريبة المسقفات والتي كانت تجبى بنسبة أربعة في الألف عن الأراضي، وخمسة في الألف عن الدور المعدة للسكن، وطلب الشيخ قدر من أعضاء مجلس اللواء الاعتراض على القوانين الجديدة، إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك بل أقدمت الحكومة على زيادة نسبة الضرائب التي كانت تجبى من أصحاب الأغنام بمختلف أنواعها، حتى أنهم فرضوا ضريبة على الجمل الواحد 13 قرشاً، و20 بارة وأضافوا 25 بارة باسم التجهيزات العسكرية، والأغرب من ذلك أن الحكومة فرضت ضريبة اسمها (ضريبة العشر) وقد استغربها الشيخ قدر عندما راجع متصرف اللواء وقال له: أين المصرف الزراعي في الكرك حتى تفرضوا علينا لصالح هذا البنك غير الموجود أصلاً نسبة 12 وأين الطرق التي أحدثتموها غير الطرق التي فتحها شباب الكرك بالسخرة وبقوة السلاح، حتى تفرضوا علينا 4 باسم الأشغال العامة والطرق، وأين المدارس الحكومية التي أقمتموها من ضرائب المعارف التي فرضتوها علينا بغير حق ، وكان جواب المتصرف: إن قانون الضرائب لعام 1816م، يجيز زيادة نسبة الضرائب على رعايا الدولة، عندما تشعر الدولة بأن موازنتها بحاجة إلى رفع بسبب الظروف العسكرية وحالة البلاد المهددة بالاعتداء عليها .
وقد ذكر هايل المجالي في أوراقه أن الشيخ قدر هدد الوالي عن طريق متصرف اللواء برفض الضرائب القديمة والجديدة، وأنه سيقوم مع مشايخ البلاد بتحريض الأهالي على عدم دفع الضرائب وطرد الجباة وعدم استقبالهم مهما كانت القوة العسكرية التي سترافقهم .
وقد أشار الكاتب والمؤرخ الروسي (لوتسكي) في كتابه (تاريخ الأقطار العربية الحديث) صفحة 390 إلى أن الضرائب التي فرضت على العرب كانت من أهم أسباب الثورات الشعبية الفلاحية في بلاد الشام، فقال: ارتدت قيادة وأعضاء حزب الاتحاد والترقي ارتداداً تاماً وانعزلوا عن الجماهير العربية، وأخذوا ينتهجون ساسة توفيقية مع البرجوازية والأوساط الشيفونية، وشنوا حملة سافرة ضد الحركات الفلاحية، وامتنعوا عن إجراء إصلاحات ضرائبية، واتخذوا عدداً من الإجراءات وبخاصة قانون الأحزاب لعام 1910م، فاندلعت أكثر من ثورة في هذا العام..
وكتبت مجلة (النبراس) في تشرين الأول 1910م أن الدولة تبتز الضرائب باسم النافعة والمعارف لتنفقها في استانبول، ولا يستفيد دافعو الضرائب منها . وعددت المجلة أكثر من عشرين نوعاً من الضرائب ومن بينها:
1- ضريبة المسقفات. 2- ضريبة العشر. 3- ضريبة الأغنام. 4- ضريبة التمتع. 5- الضريبة العسكرية 6- ضريبة المكلفين
لقد ابتليت الكرك بأكثر من متصرف لا يعرفون رحمة الله. الرشوة أهدافهم، وعذاب الناس هواياتهم لا يرحمون الفقراء، وكانت الضرائب عليهم كزكاة الفطر لا يعفى الفقراء من تأديتها.. هذه الأجواء - يقول سليمان الموسى نقلاً عن مذكرات عودة القسوس: خلقت مناخاً حاراً ولم يعد الفلاح يحتمل نفسه، فنتاجه السنوي لا يكفي للرشوة والخاوة والضرائب وغيرها من متطلبات الإدارة الفاسدة. كل هذه الهموم الشعبية كانت في ذاكرة الزعيم الوطني الشيخ قدر المجالي، فلم يجد حلاً أمام تعنت الحكومة والإدارة الفاسدة غير الثورة والتمرد على الحكومة ومؤسساتها في الكرك. لذلك كان الإرهاق الضريبي سبباً مهماً من الأسباب التي أدت إلى الثورة تجاوباً مع رغبة عامة الشعب وإحقاقاً لحقوقهم الإنسانية والاجتماعية .
ويذكر الموسى في الصفحة 83 عن حالة الناس في الكرك: أما عامة الناس، فقد كان سخطهم ناتجاً عن إرهاق الحكومة لهم بالضرائب، وعن الأسباب الكثيرة الأخرى المعروفة عن الإدارة العثمانية من عسف ورشوة وفساد، فالضرائب كانت كثيرة بأنواعها وباهظة بمقدارها ونسبتها .
قانون الخدمة العسكرية
هذا القانون الذي رافقه إحصاء السكان، يعد من أهم الأسباب التي أدت إلى الثورة، بل إن المؤرخ كامل خلة يعتبره السبب الرئيس الذي دفع الأهلين لإعلان العصيان والانتفاض على سلطات الحكومة . وهذا الرأي يتوافق مع رأي القنصل الفرنسي في القدس الذي أكد في تقريره إلى حكومته والمؤرخ يوم 3 كانون الثاني 1911م كان دافع عصيان أهل الكرك هو رفضهم للإحصاء الذي كانوا يعتقدون أنه سيؤدي إلى تجنيدهم مما جعل السلطة تتظاهر بمحاولة إخضاعهم، ولهذا ثار زعيمهم قدر المجالي وقادهم لقتل موظفيها، وقطع خطوط البرق، وتدمير السكة الحديدية.. .
ويحلل المؤرخ العربي السوري الدكتور علي سلطان في كتابه (تاريخ سورية) صفحة 128 مبررات الشيخ قدر المجالي باعتراضه ورفضه طريقة الإحصاء التي وضعتها لجان الإحصاء بقرار من الوالي ومن القائد العسكري سامي الفاروقي المكلف باستعمال القوة لإتمام عملية الإحصاء في الكرك، بقوله:
كانت الجرائد العربية تراقب ما يجري في المدن التركية وتقارنها بالمدن العربية، كي تتخذها وسيلة ودليلاً على سوء سياسة الاتحاديين ضد العرب. وكانت بعض الصحف تحض العرب على وجوب قبول الإحصاء، حتى يكثر عدد العرب بالنسبة للأتراك الذين يقبلون عليه، إلا أن بعض الآراء رأت أن العرب يخشون الإحصاء خوفاً من الجندية، إذ كانت الدولة تسوق كل سنة آلافاً من المجندين من بلاد الشام إلى اليمن، وكان معظمهم يموتون هناك بالحرب أو من الجوع أو الهلاك على الطريق، ولهذه الأسباب رفض أهالي الكرك الإحصاء، لأن نتيجته سيكون سوق الشباب إلى مقابر الموت والهلاك وعدم العودة إلى ديارهم ولو نعوشاً .
وعلى الرغم من اعترافه بالثورة الكركية كحالة من حالات رفض العرب للسياسة التي انتهجها حزب الاتحاد والترقي تجاه العرب، إلا أن المؤرخ والسياسي المعروف محمد كرد علي ينحاز إلى السلطة العسكرية ويؤيد الإجراءات التي نفذها الفاروقي في الكرك، حيث قال في مذكراته الجزء الأول صفحة 81- 82 والصادرة في دمشق سنة 1948م ما يلي:
... وفي عام 1910م حاولت الحكومة العثمانية القيام بتعداد السكان في الكرك كما حدث في حوران وجبل الدروز، وحصر الأملاك الثابتة في متصرفية الكرك، لكن القبائل العربية قاومت ذلك العمل بثورة عارمة، فقامت الحملة الفاروقية بتأديبهم!! فعمّ الرخاء والأمن، وشنق بعض زعماء الكركيين، فذلّ المتزعمون وأرباب النفوذ في المدن والقرى..
الدكتور علي سلطان، يرد على السيد محمد كرد علي في كتابه (تاريخ سورية) صفحة 116 بقوله: إن الأمور لم تكن سهلة وهادئة في متصرفية الكرك بالنسبة للسلطات العثمانية، التي كانت تحاول بين الحين والآخر القيام بتعداد للسكان بقصد الحصول على أسماء وأعمار القادرين على الخدمة العسكرية، أو لفرض ضريبة جديدة، لكن الشعب كان يعي أهداف تلك السلطات، ولذلك حاول بشتى الطرق عرقلة ما كانت تهدف إليه تلك السلطات، فشنق العشرات من زعماء الكرك، لم يحقق الأمن والرخاء، إنما حقق الخراب وزيادة حقد العرب على الأتراك..
نجح الفاروقي بخططه في حوران وجبل الدروز، وأرسل المئات من شباب حوران وجبل العرب إلى بلاد الروملي (البلقان) واستولى على أموال الأهالي، وجمعها عند أحد التجار في مدينة السويداء، وبعد هذا النجاح أراد أن يطبق الإجراءات القمعية على الكرك، فأرسل في أواخر تشرين الأول 1910م، برقية إلى متصرف اللواء يسأله فيها عن رأيه بخصوص جمع السلاح من أهالي الكرك وتحرير الأراضي والأملاك والنفوس، فأبرق المتصرف للفاروقي يخبره بموافقة الأهالي على الإجراءات، ولم يخبره عن موقف الشيخ قدر المجالي، وبناء على ذلك بدأت الحملة الفاروقية على الكرك، والتفاصيل في الحلقة القادمة...

دور توفيق المجالي في تسييس مشايخ الكرك:
كان النائب في البرلمان العثماني توفيق المجالي من الشخصيات العربية المتنورة، ومن مؤسسي (حزب اللامركزية) الذي يدعو إلى التلاحم الأخوي بين الأتراك والعرب، في دائرة الخلافة الإسلامية، وكان يرفض الدعوات القائمة على مبادئ التفريق بين العرب والترك، وضد سياسة التعصب القومي من قبل الطرفين، وظل عند ثوابته هذه حتى تكشف له موقف الحزب الانقلابي (الاتحاد والترقي) وبخاصة بعد نفي السلطان عبد الحميد إلى (سالونيكا) سنة 1909م، فبدأ نشاطه السياسي بالتعاون مع مندوبي بلاد الشام في البرلمان العثماني، ضد سياسة التوجه الطوراني التركي، فكانت مسؤولية توفيق كبيرة وشاقة أيضاً، فهو النائب الوحيد عن الأردن في مجلس النواب، فقد مثل لواء الكرك في دورة 1908م ودورة 1912م، وهي الدورة الأخيرة قبل الحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى.. وعندما انتقل من الكرك إلى العاصمة استانبول عام 1908م، ولم يكن لديه برنامج سياسي ولا إصلاحي إلا بعد تأسيس (حزب اللامركزية)، ولكنه استوعب اللعبة السياسية، لأنه اعتمد على ذكائه الفطري وشخصيته القومية، وهو من خريجي (مكتب عنبر) المشهود له بصقل شخصيات طلابه، فسعى المجالي إلى وحدة الموقف العربي داخل قبة البرلمان، وبنى علاقات جيدة وسياسية أيضاً مع نواب الولايات العربية، وهم: عبد الحميد الزهراوي (مبعوث حماه) وسعيد الحسيني (مبعوث القدس) وشكري العسلي (مبعوث دمشق) وأمين أرسلان (مبعوث اللاذقية)، وكامل الأسعد (مبعوث بيروت)، وسعد الدين المقداد (مبعوث حوران) وصبحي علي (مبعوث بغداد). فكان موضع إعجابهم وتقديرهم، ويعترف بأنه تعلم منهم فن اللعبة السياسية، وأصول الاتصال بالجماهير، ونقل أفكارهم ومعاناتهم إلى المجلس النيابي والسلطة التنفيذية أيضاً، وعرف كيف يكون برلمانياً ناجحاً، كما وصفه النائب سعد الدين مقداد، مبعوث حوران، عندما كان يتنقل ما بين استانبول ودمشق وحوران والكرك وبقية مدن الجنوب الأردني، بعد انتهاء الدورة البرلمانية، كان يعقد لقاءات واجتماعات مع زعماء ومشايخ البلاد، وكان ينقل إلى دائرته الانتخابية الأفكار والتوجهات السياسية لحزب الاتحاد والترقي الحاكم، ومواقف النواب العرب من هذه التوجهات. ومن أهمها:
1- سياسة التتريك
2- إبعاد العرب من وزارتي الخارجية والداخلية.
3- إبعاد الضباط من مواقعهم الداخلية وإرسالهم إلى مواقع البؤر المتوترة في البلقان واليمن ونجد وغيرها.
4- النيل من قدسية وقداسة الدين الإسلامي، بتشجيع من الحركتين الماسونية والصهيونية.
إذن.. تمكن توفيق من إدخال مفاهيم سياسية جديدة في ذاكرة مشايخ ووجهاء المنطقة. وفي مقدمتهم:قدر المجالي، وحسين الطراونة، وعودة القسوس، ويوسف سكر (السلط) وعبد النبي النسعة (معان)، وعبد المهدي محمود (الطفيلة) وخليل التلهوني (معان)، وزعل المجالي، وساهر المعايطة، ومحمود طه الضمور وغيرهم.
يقول الشيخ هايل المجالي في أوراقه: كان الشهيد قدر المجالي يتأثر ويؤثر فنظراً لوجود قريبه توفيق بك عضواً في مجلس الشورى العثمانية (مجلس النواب العثماني)، فقد تأثر بالمفاهيم السياسية والأحوال التركية عند المحادثة معاً، كما كان يؤثر في أبناء عشيرته كثيراً، وبخاصة في ابن أخيه الفارس والشاعر سعود بن عبد القادر المجالي، وكان الشيخ قدر يشيد بنشاط توفيق بك، حيث تمكن من إثبات حضوره السياسي في وسط شخصيات مخضرمة في العمل السياسي والوطني والبرلماني، لذلك كان الشيخ قدر ينتظر بفارغ الصبر قدوم توفيق بك إلى الكرك، ليتفهم منه مجمل الأوضاع التي تعيشها الدولة في ظل الاضطرابات التي تعيشها..
قدر المجالي وفكرة الثورة
عندما انطلقت ثورة الشيخ (قبلان العدوان) في السلط عام 1882م، كان الشيخ قدر في الثلاثين من عمره، وقد أعجب بثورة العدوان، وقدم لها كل وسائل الدعم بإشراف والده الشيخ صالح الذي كان آنذاك شيخ مشايخ الكرك، وبقيت جذوة الثورة مشتعلة في ذاكرة الشيخ قدر (كما يقول الشيخ هايل عزام المجالي)، وتجددت فكرة الثورة عند قدر في نهاية عام 1893م، حين قرر (رؤوف باشا) والى دمشق احتلال الكرك بقوة السلاح وإعادتها لسلطة الدولة، وذلك على خلفية أن عشائر الكرك تستعد لإعلان الثورة والمجابهة إذا ما قررت الحكومة احتلال المنطقة بالقوة والإرهاب .
وكان الشيخ قدر قد اقترح على والده إعلان الثورة إذا أصرت الحكومة على قرارها الذي كان يقضي اختيار مدينة معان مركزاً للمتصرفية بدلاً من مدينة الكرك، ولكن الحكومة تراجعت عن قرارها وعينت الكرك مركزاً للمتصرفية، بأمر سلطاني. وأخذت فكرة الثورة تراوده من جديد عندما تسلم مقاليد الشيخة ولبس خاتمها عام 1900م، وخلال هذه الفترة عين (صادق باشا) متصرفاً جديداً بدلاً من (حسين حلمي باشا) وكان (صادق) لا يصدق القول في إدارته إلا في ما يتعلق بالرشوة والفساد والكسب غير المشروع، حيث كان جريئاً في طلب الرشوة، وقد تجاوز بعقليته المتعالية حقوق العشائر، وعطّل قرار الحكومة الذي ينص على دفع مخصصات لمشايخ ووجهاء الكرك، مما ترك أثراً سيئاً في نفس الشيخ قدر المجالي، وجعله يفكر في الانتفاض والثورة، ولكن الحكومة عرفت نواياه وأحبطت الفكرة إلى حين . يقول سليمان الموسى في كتابه المشترك مع منيب الماضي، (الأردن في القرن العشرين) صفحة 8 ونقلاً عن مذكرات عودة القسوس ما يلي: ولكن والي دمشق علم بما يبيته شيوخ الكرك، فأرسل قوة إضافية من الفرسان بقيادة (خسرو باشا)، فأخذ الأهلون إلى السكينة خوفاً من بطش الدولة .
وظلت فكرة الثورة قائمة ولكنها مؤجلة إلى أن تحين ظروفها وتكتمل أسبابها. وكان يتدارس بإعلانها مع نخبة من عشيرته ومع مشايخ العشائر الأخرى، وبخاصة مع الشيخين: ساهر المعايطة، ومحمود طه الضمور، إلا أن ثورة الشوبك التي انطلقت عام 1905م، والطريقة التي سلكها جيش الدولة مع الأهلين لإخمادها، أجمع زعماء العشائر على تأجيل الثورة مع تقديم الدعم لثوار الشوبك، واستمرار التهديد بالثورة إذا بقيت الحكومة عند موقفها من تجاوز الشأن العشائري، وقطع رواتب ومخصصات المشايخ.
في عام 1906م، قرر الشيخ قدر إعلان الثورة بسبب الإجراءات العسكرية التركية، وإرهاق الأهالي بالضرائب، وفرض العمل بالسخرة على الشباب، لكن الحكومة تداركت الأمر، وتخلت عن عمل السخرة استجابة للتهديد الذي أرسله قدر المجالي إلى متصرف الوالي، وإلى قائد الحاميات العسكرية، يقول هايل المجالي: تأجل مشروع الثورة بسبب القوات التركية التي تراكمت عند حدود المنطقة، وبعشرات الكتائب والأفواج . وذكر سلطان باشا الأطرش في مذكراته، أن كتائب الجيش التركي، انسحبت من الجبل إلى حوران وتمركزت في أطراف البلقاء تحسباً لثورة يمكن نشوبها في السلط أو في الكرك، من أراضي شرقي الأردن وساعدها على ذلك إخماد ثورة شبلي الأطرش التي كانت مقدمة لثورة الجبل عام 1910م.
الأسباب الموجبة لثورة الكرك
أدرك الشيخ قدر المجالي مستوى حقد وكره حزب الاتحاد والترقي الحاكم على العرب والموجه سياسياً وعقائدياً من قبل الحركة الماسونية والحركة الصهيونية وكان النائب في البرلمان العثماني توفيق المجالي يضع مشايخ الكرك في صورة المناقشات الحادة بين نواب الحزب الحاكم والنواب العرب، فقبل ثورة الكرك بثلاثة أشهر تقريباً، نشرت جريدة (إقدام) التركية مقالاً وصفت فيه العرب وصفاً سيئاً، وقالت: إن العرب يبيعون أرواحهم وحتى أعراضهم بالمال فهاج النواب العرب، واحتجوا للمجلس وللديوان العرفي، ولما دافع النائب الماسوني وهو من حزب الترقي (طلعت بك) عن الجريدة، قام النائب العربي (شفيق مؤيد العظم) بصفع طلعت بك وألقى به أرضاً على سلم المجلس مما جعل رئيس المجلس يرفع الجلسة، وطالبت الصحف التركية بإحالة العظم إلى الديوان العرفي لمحاكمته.
وقد علّق الملك عبد الله بن الحسين المؤسس في مذكراته صفحة 45 على العلاقة التي كانت قائمة بين العرب والترك بقوله: عندما كان يقول العرب للأتراك: نحن وأنتم أهل الإسلام.. قالوا: نعم، لكن نحن السادة وأنتم التبع . وبين الدكتور علي سلطان في كتابه (تاريخ سورية) صفحة 126 أن من بين أسباب ثورة الكرك الدعاية الواسعة التي قام بها ضدّ (العصملي) النواب العرب وفي مقدمتهم، شفيق العظم، وتوفيق المجالي، وشكري العسلي، وكان هؤلاء النواب يقومون بعمل شجاع لإظهار حق العرب، ولذلك جرى احتفال واستقبال جماهيري واسع لدى عودتهم إلى مناطقهم .
بالإضافة إلى هذه الأسباب، هناك جملة من الأسباب الداخلية أدت إلى تعجيل إعلان الثورة من بينها:
أولاً: قطع مخصصات الشيوخ ووجهاء العشائر:
أصبحت المخصصات التي منحها السلطان عبد الحميد لشيوخ العشائر من الأشياء المهمة في حياة الشيوخ المعاشية، فرتبوا أوضاعهم على أساسها، فقطعها أو الانتقاص منها اعتبرها الشيوخ إهانة لمواقعهم العشائرية. وبقيت هذه المخصصات الشهرية تصرف بانتظام خلال فترة إدارة حسين حلمي لمتصرفية اللواء، وأصبحت باباً من أبواب الصرف في موازنة اللواء، وبمصادقة الوالي وناظر الداخلية، وبمعرفة السلطان. وقيل أن السلطان عبد الحميد لو بقي في السلطنة كان ينوي زيادتها تكريماً وإكراماً لعائلة المجالي التي قدّمت الشهيد (إسماعيل الشوفي المجالي) شهيداً لأجل شرعية الدولة وهيبتها، وتكريماً لعائلة الضمور التي ضحت بولديها (علي) و(السيد)، عندما أقدم إبراهيم باشا المصري على إعدامهم .
لم يفكر الشيخ قدر بمراجعة السلطات لإعادة المخصصات الشهرية حتى لا تحسب أن ثورته كانت بسبب قطعها، ولكنه قال بشجاعة الشيوخ للمتصرف (صادق باشا) الذي كان وراء قطع المخصصات: كانت الهبات والهدايا الشهرية مكرمة من السلطان عبد الحميد، وبعد عزل السلطان لا يهمنا إن بقيت مكرمته أم ذهبت طالما صاحبها لم يعد موجوداً لشكره عليها..
ونؤكد أن قطع رواتب الشيوخ كان سبباً من أسباب الثورة وليس كل الأسباب كما زعم سامي الفاروقي قائد الحملة على الكرك، الذي قال: لقد تمرد قدر المجالي على الدولة لأنها قطعت راتبه الشهري، إنه أنكر نعمة السلطان عليه.. وصدق القنصل الفرنسي في القدس الذي قال في تقريره إلى حكومته: لم يكن قطع هبات السلطان عن الشيخ قدر المجالي وحده المحرك لإعلان الثورة . وذكرت جريدة المقتبس في عددها 615 الصادر يوم 15 نيسان 1911م، أن من بين أسباب ثورة الكرك وتمرد الشيخ قدر المجالي على الدولة، هو رفض الدولة أن تدفع لشيوخ البدو حراسة الخط الحديدي ولكن الأسباب المباشرة غير ذلك، وفي أولها رفض المجالي إرسال أولاد الكرك للموت المحتم في بلاد الأناضول..
ثانياً: ضعف الإدارة وفسادها
لم تستطع مؤسسات الحكومة في الكرك بناء علاقات ثقة مع أهل البلاد بل مارست عليهم الإذلال، وكان الجند التركي يجوبون القرى ويصادرون المؤن والحبوب، وما يتوفر من الماشية، ومن ممارسات الإذلال كان الحاكم الإداري يختار من الرجال من يشاء، ويأمر العسكر بحلاقة جانب من لحية الرجل وشاربه وترك الجانب الآخر إمعاناً في الإذلال، وكانت قلعة دمشق ملتقى الرجال الذين يعترضون على هذه الأساليب الوحشية والبعيدة عن الذوق والأخلاق .
وقد شاهد الشاعر الكركي عبد الله العكشة مثل هذه الحالات، ونقل ما شاهده إلى الشيخ قدر المجالي، وطلب منه أن يوفد شخصاً لمقابلة الوالي ليخبره بالأعمال التي يقوم بها جند الأتراك، ولكن الشيخ قدر لم يذهب إلى متصرف اللواء ولا بعث شخصاً إلى والي دمشق، بل أعطى تعليماته إلى مجموعة من أبناء الكرك بخطف أحد الجنود، الذي كان يهين الرجال، فعملوا به مثل ما كان يعمل وزيادة على ذلك أخذوا بدلته العسكرية وأرسلوها إلى المتصرف.
في الحلقة القادمة سنتابع أهم الأسباب لثورة الكرك.

أحداث ما قبل ثورة المجالي:
يقول القائمقام علي خلفي الشرايري في مذكراته (مخطوط) في تفكير قادة الاتحاد والترقي بعد انقلابهم على السلطان عبد الحميد ما يلي: إذا كان زعماء الترقي الثلاثة غير متفقين على سياسة مشتركة للدولة.. فطلعت باشا كان يفضل العثمانية، وأيّد أنور باشا الجامعة الإسلامية، وتزعم جمال باشا دعوة القومية التركية، وقد دفعت هذه المواقف، القوميات المختلفة في الإمبراطورية إلى البحث عن خلاصها بالانفصال عن الوحدة العثمانية .
إذن.. كان عام 1909م عام الصراع القومي العربي - التركي، وأعلن والي دمشق إسماعيل باشا، أن بلاد الشام مقبلة على هبات شعبية انقسامية وكانت تقاريره قبل ثورة الشيخ قدر المجالي تؤكد على أن العرب يودون الاستقلال والانفصال عن العثمانيين .
وقال الرحالة الفرنسي (جبرائيل شارم) في كتابه (رحلة إلى بلاد الشام) صفحة 171ما يلي: انتشرت روح الاستقلال، انتشاراً واسعاً، وكان هذا النشاط بعيداً عن وصمة التعصب الطائفي، فقد عمدت الجمعيات العربية إلى إشراك النصارى في العمل القومي، أما الأتراك فقد ابتعدوا عن هذا الميدان ومثله قال الرحالة الفرنسي في كتابه (العرب الأصليون وبلادهم) صفحة (294) (دينيس دي يغوار): لقد وجدت في كل مكان شعوراً ثابتاً عاماً، وهو بغض الأتراك، وبدأت تتبلور بالتدريج فكرة القيام بعمل جماعي مدبر للتخلص من نيرهم الكريه، وتلوح عن بعد مظاهر حركة عربية حديثة النشأة . كانت تصريحات هؤلاء الرحالة قبل ثورة الكرك بأشهر معدودة، حيث قال الدكتور علي سلطان في كتابه (تاريخ سورية - 1908 - 1918م) صفحة (116) تعليقاً على رؤية الرحالة (دينيس) ما يلي: لذلك كانت ثورة الكرك الرصاصة في التوجه الثوري عند العرب عام 1910 .
لم تكن القضية العربية هي التي تشغل الدولة العثمانية فحسب، فقد كانت المصاعب من الضخامة بما هو أكبر من قدرة الدولة، إذ أعلنت (بلغاريا) استقلالها رسمياً، وألحقت النمسا مقاطعتي البوسنة والهرسك بها، وأعلنت جزيرة كريت التحاقها باليونان، ولم تستطع الحكومة التغلب على هذه القضايا، فلقد كانت تلك الكوارث من أسباب ضياع هيبة الدولة، فعادت الحوادث الداخلية تظهر من جديد في بلاد الشام، غير مكترثة بقوة الدولة، وكثرة حوادث التعدي والسطو وقطع الطرق والإغارة على القرى، وسيطرة البدو على الريف سيطرة شبه تامة، وعانت الدولة في نفس عام ثورة الكرك من ثورتين عربيتين خارج بلاد الشام، وهما في اليمن وعسير، بالإضافة إلى ثورة الألبان ومكدونيا، وقد عبّر (خليل بك) أحد أعضاء الحكومة العثمانية في جلسة لمجلس المبعوثين (مجلس النواب)، بأن وضع الحكومة صعب، وأن التنظيم الحكومي لم يأخذ بعد حالته الطبيعية، ويلزمه الوقت، وعدد خليل بك ثورات ألبانيا ومكدونيا وحوران وجبل العرب والكرك. وكانت ثورة الدروز التي نشرتها جريدة (المساء) اللبنانية في عددها 97/ تاريخ 9/12/1975م أن سبب حملة سامي باشا الفاروقي هو نشوب نزاع بين جبل العرب والحوارنة أدى إلى مقتل عدة أشخاص بين الطرفين، وكان أكبرها في 29 تموز 1910م، أما السبب المباشر فهو أن جبل العرب أصبح منذ مطلع القرن حمى لأحرار العرب من كل حدب وصوب.
هل ثورة المجالي ثورة سياسية وطنية؟؟
قبل الحديث عن الثورة وأسبابها ويومياتها، يتوجب فهم وإدراك أهداف الثورة والمبادئ التي أعلنها قائد الثورة الشيخ قدر المجالي، قد نكون نحن في الأردن أقل إنصافاً لدوافعها الوطنية والقومية، وأكثر من أنصفها قناصل الدول الغربية، والكتاب والرحالة الأجانب، بالإضافة إلى بعض الكتاب من الدول العربية، أقول ذلك لأن بعض كتابنا قد وصفوها بـ (فتنة الكرك) والبعض الآخر وصفها بالتمرد والعصيان على الدولة والخلافة، وبالتالي لم تأخذه هذه الثورة حقها في دراساتنا التاريخية، ولم يأخذ قائدها وفارسها حقه الذي يستحقه، ولم يكن حظ شهداء الثورة أوفر من حظ شيخهم في الفداء والشهادة، فماذا قالوا عن ثورة الكرك؟؟
- قال القنصل الفرنسي في دمشق في تقرير إلى حكومته يحمل الرقم في الوثائق الفرنسية: 409/32، ما يلي: لم تكن حملة الفاروقي لإخضاع الكرك فحسب، بل أرادت الدولة أن تخيف العرب، كي لا ينقضوا عليها في جو سياسي غير ودي بين الأتراك والعرب، وفي جو سادته القلاقل والتمرد والاضطرابات في أكثر من مكان .
- وجاء في تقرير للسفارة البريطانية في استانبول يحمل الرقم 5988/371، ما يلي: وفي الحقيقة كانت الدولة العثمانية تراقب وتتربص بالعرب منذ عام 1908م، وجاءت الحملة العسكرية على حوران والكرك، تنفيذاً لسياستها بإخضاع العرب قبل ثورتهم الشاملة .
- وكتب القنصل الفرنسي في القدس تقريراً إلى حكومته يحمل الرقم 9/تاريخ 15 نيسان 1911م، يحتل الصفحة 136- 137 في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية، يقول التقرير: إن الأسباب السياسية والقومية هي الأقوى في معركة البدو في الكرك، وأن الأسباب التي أوردها المحقق التركي وهي زوال النعمة التي يغدقها السلطان على مشايخ الكرك كانت السبب في الثورة، لم يكن المحقق دقيقاً، ولم تكن وحدها المحركة لإعلان الثورة، فالأسباب المباشرة سياسية وقومية.. .
- وفي تقرير آخر للقنصل الفرنسي في القدس، تاريخه 19 نيسان 1911م يقول فيه: جاءت حملة القائد التركي سامي الفاروقي متأخرة، ولهذا لم يقتنع البدو المنتشرون في المدينة المنورة إلى الكرك شرق البحر الميت بجدية الدولة، وكان دافع عصيانهم هو رفضهم للإحصاء الذي كانوا يعتقدون أنه سيؤدي إلى تجنيدهم خارج مناطقهم، مما جعل السلطة تتظاهر بمحاولة إخضاعهم، ولهذا ثاروا وقتلوا موظفيها .
وقد بلغ عدد التقارير الفرنسية حول ثورة الكرك حوالي 11 تقريراً، وملخصها أن ثورة الكرك سياسية وقومية، واتهمت السلطات التركية بخرق حقوق الإنسان، وأن الفاروقي لم يفرق بين المسلم والمسيحي، وأورد القنصل الفرنسي في تقريره إلى حكومته بأن الفاروقي قال له رداً على استفساره حول حقيقة الأنباء التي تذكر أن المسيحيين تعرضوا للذبح ، إنني سأقتل كل سكان الكرك المسلمين والمسيحيين حتى يتعلم هؤلاء كيف يكونون مخلصين للدولة .
أما تقارير القناصل البريطانية في القدس واستانبول فكانت حوالي 7 تقارير، ملخصها: أن العرب ثاروا في الكرك لأنهم يرون أنفسهم أعلى ثقافة وحضارة من الأتراك، لذلك ثاروا ورفضوا سياسة التتريك .
- وذكر القنصل البريطاني في بيروت، السيد (كمبر باتش) في تقرير إلى وزارة الخارجية البريطانية يحمل الرقم 1246/37/ تاريخ 23/1911م، أن الطوائف اللبنانية تأثرت بحماسة بثورة الكرك وأن والي بيروت زار الفئات شبه المستقلة كالعلويين ويبلغون 80 ألفاً وقد طلب منهم الخضوع للدولة، وتسليم أسلحتهم، ولكنهم رفضوا تسليم سلاحهم، وكان من المتوقع أن يتخذ الفاروقي موقفاً حاسماً ضدهم، لكن ثورة الكرك المجاورة هي التي أنقذتهم من عقاب الدولة .
- وآخر تقارير القنصل الفرنسي في القدس قال فيه: أن ثورة العشائر الكركية، جعلت تركيا المريضة غير قابلة للشفاء .
المؤرخون العرب
في كتابه (تاريخ سورية) قال المؤرخ العربي السوري الدكتور علي سلطان، صفحة 116- 119 ما يلي: وأياً كانت أهداف حملة الدولة على الدروز، سواء لإقرار الأمن المضطرب أو لإلقاء الرعب بنفوس المواطنين، أو لفرض هيبتها المتدهورة، إن تلك الحملة لم تحقق هذه الأهداف، إذ سرعان ما تفجرت ثورة عارمة أخرى أعنف من تمرد الدروز، وكانت موجهة مباشرة إلى السلطة.
وحدثت هذه الثورة في الكرك (تابعة لولاية سورية) وهي الآن في دولة شرقي الأردن، وتجمع شيوخ العشائر بقيادة عشيرة المجالي، وأعلنوا الثورة، فاحتلوا الكرك، حدث ذلك في كانون الأول 1910م، وأن عشائر المجالي كانت تدور حول الكرك منذ شهرين لتثور على الدولة، لأنهم رفضوا تسليم السلاح..
وفي كتابه (الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي) صفحة 26- 30 قال المؤرخ العربي منير الريس، ما يلي: ويمكن أن نعتبر الثورة الكركية بقيادة شيخ مشايخ العشائر الكركية قدر المجالي، مظهراً من مظاهر الوعي الذي أخذت تباشيره تلوح في مختلف الأقطار العربية، ودليلاً على نمو الروح القومية بين المواطنين، واستعداد هذه الجماهير للبروز والانطلاق إذا جوبهت بالتحدي والاستفزاز، وقد دلت ثورة الكرك على أن الثوار كانوا على جانب كبير من الوعي القومي وقد ترجموا ذلك بالعمل الكفاحي والتضحية حتى الشهادة وأرادوا بحركتهم الثورية، أن يؤكدوا للأتراك أن الإنسان العربي خلق بالفطرة على الحرية، وعلى حمل سلاحه المؤتمن عليه، وأنه من أجل الحرية الموت أهون عليه من دونها. وفي ثورة الكرك، تعززت مكانة المجاهد قدر المجالي، كزعيم غير قابل للانحناء، وقبول الذل.. .
وفي مذكراته صفحة 46- 48 قال المجاهد العربي من جبل الدروز، شكيب أرسلان، لم يفاجأ الأتراك بثورة الكرك، الثورة الشقيقة لثورة جبل العرب، وإنما أذهلهم استقطابها لعدد كبير من الثوار، وانتصارها خارج الكرك، وهذه دلالة على روح التحدي العربي، إذا كان الأمر يتجاوز كرامتهم، وعلى الرغم من أن نتائج الثورة كانت معروفة، حسمتها المدافع التركية لصالح الفاروقي، إلا أن مشايخ الكرك كانوا مثل مشايخ الجبل الأشم، لم يتعاملوا مع الأمر الواقع المخالف لعقيدتهم وسلوكهم الاجتماعي، ويمكن القول أن تلاحم الصحراء الأردنية مع جبل حوران، كانا عنواناً لجغرافية الجنوب والشمال.
وقال النائب في البرلمان العثماني حسن فهمي، والذي كان يمثل منطقة (سينوب التركية) ونشر حديثه في جريدة (المقتبس) العدد 364/ يوم 3 كانون الأول 1910، ما يلي: أرجو من العرب أن لا يؤاخذوا جميع الأتراك بسبب سياسة بعضهم، إن ما حدث في الكرك هو ممارسة لقادة لا يفهمون معنى الحرية، وهمهم إثارة النزعة التركية ضد العرب .
أما الكاتبة التركية (خالدة أديب) فقد نشرت مقالاً بعد ثورة الكرك في جريدة (النبراس) العدد 336/ شباط 1910م، قالت فيه: بعد استقلال بعض الدول عن الدولة العثمانية، ثار العرب في الكرك دفاعاً عن كرامتهم وحريتهم، ويجب على الدولة أن تفهم أنه من العبث تتريك العرب . ومثل الكاتبة الجريئة والصديقة للعرب كتب الدكتور توفيق رضا في جريدة (طنين) التركية، وقدم الجنرال التركي (صادق بك) استقالته من الخدمة احتجاجاً على عدم فهم مطالب العرب في الكرك، وأصدر بياناً نشر في جريدة (المنار) يوم 5 شباط قال فيه: يجب أن تكون جمعية العثمانيين من غير تقرير جنس وتعصب جنسياً، فجاءت حركة العرب في الكرك وقبلها في جنوب دمشق (جبل العرب) رداً حاسماً على سياسة الأطفال، وجميعنا يعرف كم الحرية غالية على العرب، وكم الكرامة متجذرة في النفوس العربية.
هذا القليل من كثير، تمكنت من الوصول إليه في أكثر من عشرين مرجعاً، ولم تكن بكل أسف مراجع أردنية، باستثناء ما كتبه سليمان الموسى نقلاً عن مذكرات المرحوم عودة القسوس.
إذن.. ثورة الشيخ قدر المجالي، ثورة وطنية قومية، وليست هبّة مناطقية فحسب، فمتى أو كيف ولماذا، فكّر قدر المجالي بالثورة؟ الإجابة في الحلقة القادمة

الانتصار لثورة الشوبك:
عاش الشيخ قدر الهمّ الوطني بكل أبعاده، فلم يكن شيخاً مناطقياً فحسب، بل كان شيخاً وزعيماً له هيبته وحضوره عند القبائل والعشائر الأردنية بعامة، وقبائل وعشائر الجنوب الأردني بخاصة، وبنى علاقات جيدة مع عشائر شمال الجزيرة العربية، وعائلات الجنوب الفلسطيني وبخاصة مع عشيرة (القديرات) من بئر السبع، التي شاركت بالهبات الوطنية في الجنوب الأردني، ومنها ثورة الشوبك الأولى والثانية التي اندلعت شرارتها في عام 1905م، وكانت بدعم ومساندة عشائر الكرك وبتنظيم وبتخطيط من قبل الشيخ قدر المجالي، الذي سيّر فرسانه إلى الشوبك وشاركوا أهلها بثورتهم ضد التعسف الأخلاقي من قبل جنود الحاميات التركية، ولم تكن ثورة عام 1905م، هي الثورة الأولى في الشوبك، إنما كانت الثورة الثانية، حيث قامت الأولى في عام 1903م، وجاء في (نشرة الأردن) التي كان يصدرها (مركز دراسات الأردن) العدد 13 السنة الثانية، كانون الثاني 1979م، ما يلي: ومن أهم هذه الانتفاضات في شرقي الأردن انتفاضة الشوبك الأولى التي أخذت بعداً غير محلي بمشاركة قبائل بئر السبع وعشائر الكرك فيها، وقد كان الحافز المباشر لهذه الانتفاضة رفض السكان للضرائب الباهظة فهاجموا الحامية التركية المعسكرة في القلعة، وقتلوا أكثر رجال الحامية المعتصمين فيها!!
وعن ثورة عام 1905م جاء في النشرة المذكورة: لكن انتفاضة أخرى في عام 1905م في نفس المنطقة قد اندلعت لنفس الأسباب العامة التي تعيشها كل مناطق الحكم التركي في اضطهاد وفقر، ولسبب مباشر هو أن رجال حامية القلعة، وإمعاناً في إذلال السكان المحليين بسبب ثورتهم الأولى، حاولوا تسخير نساء القرية بنقل الماء إليهم من الينابيع المجاورة، مما أدى في زيادة هيجان السكان فهجموا على الجند في القلعة وطردوهم منها.. وجاءتهم نجدات كثيرة من الكرك، مما ساعدهم على الصمود. ولكن هذه الثورة قضي عليها كما قضي على الثورة الأولى .
وعن دعم الكرك لثورة الشوبك، قال الأستاذ راكان المجالي، والحديث في منزله كان يدور حول شخصية قدر المجالي الوطنية، ومعايشته بروح القائد المنتصر للحركات الشعبية في المنطقة: إن الشيخ قدر كان قائداً سياسياً، يراقب الأحداث التي تجري في المنطقة، يتفاعل معها بروحية الزعيم الحريص على وطنه وشعبه، ويقدم الدعم بالرجال والسلاح إلى الحركات والهبات الشعبية التي وقعت ضد الحكم العثماني، فكان عند نخوة أهل الشوبك عندما مدّ ثورتهم بالرجال والسلاح مما أثار غضب متصرف الكرك، ولكن قدر لم يأخذ بتحذيرات المتصرف وقائد المنطقة، واستمر بدعمه حتى إلى ما بعد انتكاسة ثورتهم، ففتحت الكرك أبوابها للهاربين من بطش السلطات، فكانوا في استجارته حتى عمّ الصلح ما بين الطرفين..
أما كيف عرف الشيخ قدر بثورة الشوبك وأسبابها، فالحكاية طويلة نختصرها بالمعلومة الشعبية التي حدثني عنها الصديق محمد الهباهبة، وهي أن أحد الجنود من الحامية التركية في الشوبك، وهو من قرية (غباغب) الحورانية، هرب من الشوبك إلى الكرك وقص على الناس حكاية الجندي الذي حاول الاعتداء على فتاة شوبكية تحمل على ظهرها (قربة) ماء بالقرب من عين ترتادها نساء القرية وطلب منها إنزال القربة ليشرب منها، ولكن الفتاة رفضت وصاحت تطلب النجدة من الحراثين المجاورين للطرق، فهب ثلاثة شباب لنجدتها، وانهالوا على الجندي بالضرب واقتادوه إلى المخفر وسلموه إلى قائد المخفر الذي لم يصدق حكايتهم وسجنهم لمدة يومين، ونتيجة لذلك طالب الأهالي بمنع الجنود من الذهاب إلى ينابيع المياه التي ترتادها نساء القرية عادة لجلب المياه إلى المنازل ولممارسة الحقد على الأهالي طلب منهم تزويد المخفر والقلعة بالمياه مباشرة من النساء، وهذا الأمر هو الذي عجل بالثورة والتي عرفت بثورة الشوبك الثانية .
وعندما قام الأهالي بمهاجمة القلعة وطرد الجنود منها، غضب متصرف الكر ك واجتمع مع مجلس اللواء وشرح لهم تمرد أهل الشوبك على السلطة، وأنه سيبعث قوة عسكرية إلى الشوبك لتدميرها، فاستنكر مجلس اللواء وفي مقدمتهم شيخ مشايخ الكرك قدر المجالي، وطالب بحل المشكلة بالاسلوب المتزن الهادئ وليس بالقوة العسكرية إلا أن المتصرف لم يأخذ برأي مجلس اللواء فتحرك إلى الشوبك على رأس قوة عسكرية، عندها، اجتمع الشيخ قدر بمشايخ الكرك، وأعلمهم أن المشكلة ليست تمرداً شعبياً على السلطة، وإنما هي دفاع عن العرض والشرف، وإذا فرض المتصرف شروطه على أهلنا في الشوبك، فالدور سيأتي إلينا في الكرك . وتم الإجماع على دعم ومساندة أهل الشوبك، فتحمس الرجال بعد أن شاع الخبر عند الجميع فذهبوا بسلاحهم إلى الشوبك وتصدوا لجنود الأتراك، ولكن النتيجة دائماً لصالح قوة الدولة وعسكرها.. .
الانتصار لثورة آل علي
ذكر المؤرخ العربي منير الريس في كتابه (الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي) الصادر عام 1969م، في بيروت، صفحة 26- 30 ما يلي:
في جو سادته القلاقل والاضطرابات والتمرد والعصيان، وكانت الدولة العثمانية تراقب وتتربص الحركات الثورية التي ازدادت في متصرفية الكرك والأقضية التابعة لها، فبعد ثورة الشوبك عام 1905م، انطلقت ثورة آل علي في شمال الجزيرة العربية عام 1908م ولاقت هذه الثورة دعماً ملموساً من زعامة مشايخ الكرك ومعان، ومن القبائل البدوية القاطنة في أطرافها . وجاء في تقرير للسفارة البريطانية في استانبول يحمل الرقم 230. أ 1908/ 548/ 371 أورد نصه بالكامل الدكتور علي سلطان في كتابه (تاريخ سورية) صفحة 116 مختصرة بالعبارة التالية: كانت الدولة العثمانية تراقب سورية منذ عام 1908م وأنه من غير المعقول ومن غير المحتمل أن تترك الدولة المنطقة دون أن تبقي فيها قوة كبيرة للدفاع، ولمراقبة الدروز في الجبل، والعشائر البدوية في الكرك وجنوبها، لأن الزعامات فيها تطالب بالعدل وتشكيل محاكم بدائية سريعة من قضاة من علية القوم وبلغة البلاد، وهي التي تعيد الحق بدون مراجعة .
ومن المعروف أن منطقتي (تبوك) و(مدائن صالح) أصبحتا منذ عام 1894م، قائمقاميات تابعة إلى متصرفية الكرك، لذلك كانت علاقات الشيخ قدر المجالي مع زعامات المنطقتين جيدة وقائمة على قواعد الثقة بزعامة الشيخ قدر باعتباره زعيماً للمنطقة المجاورة لهم، وباعتباره عضواً في مجلس اللواء، بالإضافة إلى دوره المميز في دعم الحركات التي شهدتها المنطقة منذ عام 1900م، أي منذ تسلم الشيخ قدر مشيخة العشائر الكركية. وكانت علاقاته المميزة مع عشيرة (آل علي) وعشيرة (العبيدان)، ويكثر من زيارة العشيرتين في منطقة تبوك منازل العشائر التابعة إلى قبيلة (الطيار) ومنها (آل علي) و(العبيدان) وفي كل زيارة كان الحوار مع زعماء المنطقتين يدور حول مظالم الأتراك، وحول تجاوز السلطات زعماء ومشايخ السلطة في إدارة البلاد، وفقدان هيبتهم، ومحاولة تطبيق أنظمة حديثة أوروبية على قبائل اعتادت نظام العشيرة فقط في حياتها الطويلة .
وذكرت تقارير المخابرات العثمانية، أن الشيخ قدر المجالي كان يشجع زعماء (آل علي) على الثورة والتمرد، ووعدهم بإرسال السلاح والرجال إذا أعلنوا ثورتهم وتمردهم على السلطات العثمانية، وجاءت ثورة (آل علي) بعد أشهر قليلة من الانقلاب على السلطان عبد الحميد من قبل حزب الاتحاد والترقي، حيث أعلنت سلطة هذا الحزب العداء للعرب وإلى لغتهم العربية وأمرت والي دمشق (إسماعيل فاضل باشا) بتتريك الإدارة، وجعل اللغة التركية هي لغة القضاة والكتّاب، ولغة المدارس، ولغة الإدارة في كل مؤسساتها، وألغت الدولة (عطايا) السلطان التي كانت تمنح شهرياً لمشايخ وزعماء البلاد سواء في الكرك، أو في تبوك ومدائن صالح، لذلك كانت للثورة في شمال الجزيرة أسبابها، فأعلنتها أكبر العشائر في المنطقة هي عشيرة (آل علي) في عام 1908م، وقدمت عشائر الكرك الرجال والسلاح دعماً للثورة، وبعد انتكاستها هاجرت قبيلة (الطيار) ومنها فروع كثيرة، منها فرع (آل علي) إلى الجنوب الأردني، إلى أن استقرت في منطقة (عدرا) شمال دمشق، وعادت إلى مناطقها بعد عام 1924م، وجاء في تقرير السفارة البريطانية في استانبول رقم 561/371 تاريخ 17 حزيران 1908م، ما يلي: كل هذا جعل الأمور تتفجر على حكم الاتحاديين، ليس في سوريا وحسب وإنما على طول الخط الحديدي حتى المدينة المنورة، حيث ثارت قبيلة (بني علي)، فقطعت الطرق وأغارت على قوافل الحجاج، وعلى مخافر الدرك التركي وعلى ثكنات الجيش، حتى قمعتها الدولة بعنف عام 1908م .
تنازله عن عضوية مجلس النواب العثماني
كان يطلق على مجلس النواب العثماني اسم (مجلس المبعوثان)، وقد نص دستور عام 1876م، في مادته (425) على قيام مجلس عمومي يتألف من هيئتين تسمى إحداهما هيئة الأعيان، والثانية هيئة المبعوثين، ويتم تعيين الأعيان من الولاة السابقين أو من لهم شخصية اعتبارية، بينما يتم انتخاب أعضاء مجلس النواب، وقام السلطان عبد الحميد بتعطيله بعد الحرب العثمانية الروسية، وبقي معطلاً 30 عاماً، ومن حسنات الانقلاب على السلطان عبد الحميد سنة 1908م، أن أعيد العمل بالدستور، وجرت انتخابات لمجلس النواب في جميع الولايات العثمانية، وعقد المجلس النيابي جلسته الأولى في 13 كانون الأول 1908م، وكان عدد النواب 260 نائباً منهم 119 تركياً و72 عربياً، وعندما جرت الانتخابات في ولاية الشام، نجح الشيخ قدر المجالي عن منطقة الأردن إلا أنه تنازل عن عضويته للسيد توفيق بن عيسى المجالي باعتباره متعلماً وأرد الشيخ قدر التفرغ للشأن العشائري، وكان تنازله موضع استغراب من قبل الجهات الرسمية والشعبية معاً، لأن النائب في البرلمان العثماني يتمتع بحصانة سياسية ومعنوية بالإضافة إلى مرتب ي&#245;عد من أعلى المرتبات الوظيفية غير الحكومية، فهو يمثل الشعب والناطق باسمه، وقدّر توفيق لعمه هذا الموقف التاريخي الذي لم يسبق لأحد أن أقدم عليه. عن هذا التنازل يقول الشيخ هايل عزام المجالي في الصفحة 17 من أوراقه، وتحت عنوان (لمحة عن حياة المرحوم توفيق ابن عيسى المجالي، المبعوث لدى الباب العالي) ما يلي: عندما أعلنوا الانتخابات في الكرك من يمثل الأردن لدى السلطان العثماني في مجلس الشورى (مجلس النواب) نجح قدر بن صالح المجالي بأكثر الأصوات. لكن أهالي الكرك منعت ذهابه إلى تركيا خوفاً عليه من السلطات التركية وقتله، فهو عدو الأتراك رقم واحد. وطالبوا إما إرسال زعل بن سالم المجالي وهذا متعلم، أو إرسال حسين باشا الطراونة بدله، وكان حسين باشا موظفاً مع السلطات العثمانية، إلا أن الحظ وقع بالاختيار على توفيق بن عيسى المجالي، وجمعت له أهل الكرك المال وأرسلته باعتباره وقع الاختيار عليه ونجح، واصبح ممثلاً للولاية لدى السلطات العثمانية .
كان توفيق المجالي عند مستوى المهمة البرلمانية، وعند مستوى ثقة أهل الأردن وأهل الكرك، وامتدحه الشيخ قدر المجالي بكلام جميل أمام الوالي إسماعيل فاضل باشا، كما كان توفيق يراجع ويستشير قدر في المسائل ذات الاهتمام الخاص بالولاية والمتصرفية أيضاً.
وفي شباط 1909م، دعا توفيق المجالي أعضاء مجلس النواب عن ولاية سورية إلى الكرك، وكان باستقبالهم الشيخ قدر ومجلس اللواء، وعرّف توفيق على عمه الشيخ قدر بالرجل الحكيم، واعترف أمام الجميع بأن النيابة كانت للشيخ قدر ولكن الزعيم والكبير هو الذي يختار النائب، وكنت من اختياره، فهذه العطية من العم قدر مسؤولية تعادل مسؤولية النيابة وأرجو الله أن يقدرنا عليها .
وجرى للوفد النيابي الزائر إلى الكرك استعراض عسكري عند مدخل المدينة، كما شارك في الاستقبال مشايخ ووجهاء المنطقة، وكان الوفد النيابي المرافق للنائب توفيق وبدعوة منه، النواب: أحمد الخماش (نابلس)، روحي الخالدي (القدس)، رشدي الشمعة (دمشق)، أسعد شقير (عكا)، وممثل حوران الشيخ سعد الدين مقداد.
وسنتحدث عن مرافعات هؤلاء النواب في المجلس النيابي، دفاعاً عن ثورة الكرك وقائدها قدر المجالي في الحلقات القادمة

الانتصار للحركات الشعبية في المنطقة
في أوائل السبعينيات من القرن التاسع عشر، تطور القطاع الزراعي في معظم بلاد الشام، وكان الأردن أقل تطوراً. وجاء هذا التطور بحكم دخول ولايات الدولة العثمانية في إطار السوق الرأسمالية العالمية، حيث و&#245;جه الإنتاج باتجاه حاجات الأسواق الخارجية. فارتفع إنتاج الحبوب وازدهرت تجارته في سوريا وازدهرت تجارة الخضار والفواكه في فلسطين، وذكر (ألكسندر شولتس) في كتابه (النمو الاقتصادي في فلسطين) صفحة 216، أنه تم إنشاء 420 بيارة برتقال في ضواحي حيفا .
وهذا الرخاء لم يصل إلى المواطن في الأردن، على الرغم من أن الأردن جزء من الدولة المركزية، وكان الأردني يستورد الخضار والفواكه من فلسطين، والقطن من مصر، والحرير من لبنان، وفي مواسم القحط يستورد الحبوب من حوران. كل ذلك بسبب إهمال الدولة وتخلفها في معالجة القضايا الزراعية وبخاصة الري وإصلاح الأراضي، وهذا بالإضافة إلى طبيعة الأردني الذي يحب الاسترخاء ولا يجتهد كما هو الحال عند بقية مجتمعات بلاد الشام.
نتيجة ذلك برزت سلسلة من العلاقات المعقدة ذات التأثير العميق في البنيان الاقتصادي والاجتماعي، وأدت هذه العلاقات إلى اصطدامات داخلية في قلب المجتمع الأردني وإلى زيادة حدة الصراع الطبقي.
في سنة 1880م، شهدت الأردن حالة جديدة وهي ظاهرة الهجرة وإهمال الأرض وعدم العناية بها، ويعود سبب ذلك إلى:
- اعتداءات البدو على الفلاحين وعدم السماح لهم بممارسة زراعة أراضيهم.
- انتشار اللصوص وقطاع الطرق.
- كثرة الحروب الداخلية والغزوات المتبادلة.
- كثرة الضرائب المفروضة على الأهلين.
تأثرت الساحة الأردنية بالساحات العربية المجاورة، وبالتحديد بالحركات الفلاحية التي كانت تقوم في حوران والجولان وجبل الدروز، وكانت الانطلاقة الأولى من البلقاء بقيادة الشيخ قبلان العدوان سنة 1882م، حيث حرّك قواته الشعبية باتجاه ثكنات الجيش والمخافر الموجودة في السلط، فدمرها وقتل من فيها واستولى على خيولها، وأسر ثلاثة من كبار ضباطها ورفض المفاوضة مع ممثلي الوالي إلا إذا استجابت السلطات لمطالبه والتي عممت على معظم المناطق الأردنية آنذاك، وتلقى الشيخ صالح المجالي نسخة عنها، وكانت موضع دراسة الشيخ قدر الذي كان نائباً لوالده وبخاصة في الشؤون السياسية والاجتماعية، بينما كان الشيخ مصلح بن محمد المسؤول عن الشؤون العسكرية، وتم الاتفاق بين الشيخ صالح وأولاده قدر، وعطوان، وعبد القادر، وموسى، وأحمد وإخوته: مصلح، ورفيفان، ودليوان، وفريوان، من جهة، وزعماء عشائر الكرك: محمد الضمور، وساهر المعايطة وحسين الطراونة، على أن يقدموا جميع وسائل الدعم والمساندة لثورة الشيخ قبلان العدوان، وفتح أبواب منازل الكرك للعائلات السلطية، وإيواء الثوار الذين قد يلجأون إلى الكرك، وتحمل الشيخ مسؤولية تعبئة العشائر الكركية واستعدادها للإجراءات الانتقامية التي ستقدم عليها السلطات العثمانية، ومثل ما توقع الشيخ قدر حصل بالفعل، يقول الشيخ هايل عن دور الكرك في مساعدة ثورة البلقاء ما يلي: وجه الشيخ قبلان العدوان نداءات إلى بقية المناطق طالبها بإعلان الثورة على الأتراك، وقد تجاوبت معه مناطق الكرك وعجلون والأغوار، ولكن بشكل محدود، وبطرق غير منظمة، وتظاهرت جموع الأهالي، وأشرف الشيخ قدر وبتوجيهات من والده على تنظيم الاتصال مع الشيخ قبلان وجماعته، واستعداد العشائر الكركية بإرسال الرجال والسلاح والمؤن إلى السلط وبقية المناطق المنكوبة... .
وبعد أن دمرت القوات التركية السلط تدميراً كاملاً، ونهبت بيوتها ومزارعها انطلقت العصابات التركية إلى بقية مناطق البلقاء، تعبث بأمنها وتخريبها وزادت من ضرائبها وجورها حتى شمل جورهم وحقدهم تخوم الكرك وبقية المناطق التي ساندت وتعاطفت مع الشيخ قبلان، ولكن لم تتقدم قوات الترك إلى داخل الكرك، ولو فعلتها للاقت مقاومة عنيفة . وعندما ألقي القبض على الشيخ قبلان وتم إرساله إلى قلعة دمشق ثم إلى الأستانة قال الشيخ قدر لوالده: الأتراك قادمون إلى الكرك لا محالة، وأن انتصارهم في البلقاء سيشجعهم على تهديدنا، وهم لا يقدرون مقامات مشايخ البلاد، وها هو الشيخ قبلان في قلعة الشام، لا فرق بينه وبين جندي هرب من معسكره وفرّ إلى أهله، إذا فكروا في العودة إلى ديارنا أترك أمر التفاوض مع قيادتهم لي، فأنا أعرف كيف أفرض شروطي عليهم .
لم يفكر الأتراك بالعودة إلى الكرك والجنوب الأردني إلا في عام 1893م، حيث غابوا عن الجنوب الأردني من عام 1830 بعد دخول إبراهيم باشا المصري إلى عام 1893م، ولم يدخلوا المنطقة بعد انسحاب الجيش المصري عام 1840م، لانشغالهم بحروب خارج الولايات العربية.
انتهاء الحكم الذاتي العشائري
كانت الكرك مثلها مثل بقية المناطق الأردنية، تعيش حالة من الفوضى الأمنية، والانحطاط الزراعي، والتخلف الصناعي، وانعدام التعليم، وتفشي الأمية، وبقيت مع باقي المناطق الجنوبية وشمال الجزيرة العربية بلا إدارة حكومية بعد انسحاب إبراهيم باشا المصري إلى أن كان عام 1893م، عندما أوعزت الحكومة العثمانية المركزية إلى والي الشام (رؤوف باشا) للعمل على احتلال الجنوب الأردني وتوطيد الأمن فيها.
سيّر الوالي حملة عسكرية وعين (حسين حلمي باشا) متصرفاً للواء الكرك، وكانت الحكومة قد قررت أن تكون معان مركزاً للمتصرفية وأن تكون السلط والكرك والطفيلة قائمقاميات تابعة لمعان، وأن يكون اللواء مرتبطاً بوالي الشام، ولكن بعد مفاوضات زعماء الكرك مع الجهات المسؤولة رأت الحكومة أن موقع الكرك أكثر ملاءمة، فأصدر السلطان أمراً باعتبار الكرك مركزاً للواء، وجعل أقضية معان والسلط والطفيلة وناحيتي تبوك ومدائن صالح تابعة للواء وجاء قرار الحكومة هذا بعد أن عرفت نوايا مشايخ الكرك بالتعاون المشروط مع الإدارة الحكومية الجديدة ممثلة بالمتصرف حسين حلمي باشا. أما الشروط التي صاغها الشيخ قدر بالتنسيق مع الزعيمين: حسين الطراونة، وعودة القسوس، فهي:
1- إعلان العفو العام عما وقع في البلاد من جرائم حتى ذلك التاريخ.
2- الاعتراف بالزعامة العشائرية، وبأعرافها وتقاليدها وبقوانينها الخاصة بها في حل المشاكل والقضايا ذات الشأن العشائري والعائلي.
3- تخصيص رواتب شهرية لزعماء عشائر الكرك، تحدد قيمتها للشخص حسب موقعه العشائري، وتتراوح الرواتب بين خمسين ريال مجيدي إلى أقلها 8 ريالات.
4- أن يكون لزعماء العشائر الدور المميز في إقرار الأمن.
5- بناء دار للحكومة وجامع يبنى مقابل القلعة، وترميم الجامع العمري الكبير.
6- العمل على فتح مدرسة ابتدائية للذكور في الكرك.
7- عدم إنشاء ثكنات عسكرية للجنود بالقرب من المناطق والحارات ذات الكثافة السكانية، والاكتفاء بحجرات القلعة بعد إصلاحها.
8- عدم فرض ضرائب على الأهلين.
9- أن تكون خدمة أبناء الكرك في مناطق اللواء فقط.
سارت الأمور بشكل جيد حتى عام 1897م، فعين (صادق باشا) متصرفاً جديداً، وهذا المتصرف أخذ يعيث فساداً في اللواء كونه شقيق الصدر الأعظم (كامل باشا)، وحاول الشيخ قدر أن يحدّ من فساد وجشع المتصرف الجديد، فأشار إلى والده الشيخ صالح بإعلان الثورة على المتصرف وطرده من الكرك، وشعر المتصرف بالنشاط ضده، فأرسل يخبر الوالي بأن الشيخ صالح يؤلب زعماء العشائر على التمرد والعصيان، وأن ولده قدر يهدد بإعلان حكومة محلية برئاسته أو برئاسة والده في الكرك . وبناء على هذه الوشاية، أرسل والي الشام قوة إضافية من الفرسان بقيادة (خسرو باشا الشركسي) المعروف بشدته وقسوته، فأخذ الأهالي إلى السكينة خوفاً من بطش الدولة.
في عام 1900م، تسلم الشيخ قدر مشيخة مشايخ الكرك، وعين (رشيد باشا) متصرفاً للواء، وتمكن الشيخ قدر بحكمته من بناء علاقات جيدة مع المتصرف الجديد، فقضي على الرشوة، وحقق عدلاً بين الأهلين، إلا أن هذا الاستقرار لم يدم طويلاً، فعين (مصطفى باشا العابد) متصرفاً جديداً، وكان سيء السمعة لا يخجل أبداً من الرشوة بل كان يأخذها علانية من الشاكي ومن المشتكى عليه، فساءت العلاقات حتى درجة القطيعة بين الشيخ قدر وهذا المتصرف الذي يتباهى بموقع شقيقه (عزت باشا العابد) الصديق والمستشار الشخصي للسلطان عبد الحميد.
وقد سنّ هذا المتصرف نظام (السخرة) على الأهلين، فأخذ يدعو شباب البلدة إلى أعمال هي بالأساس من أ عمال ومهمات قوات الجيش والدرك، مثل بناء الثكنات العسكرية وجلب المياه إلى المعسكرات، وشق الطرق المؤدية إلى معسكرات الجيش والمخافر، وغيرها من الأعمال التي أثرت على حياة الأهلين وأبعدهم عن أعمالهم الخاصة، ولكن عندما زادت الأمور عن حدّها ضجر الأهالي من هذا العمل الإذلالي، وقد عبّر عن هذا الضجر والاستنكار الشاعر الكركي الشعبي عبد الله العكشة، عندما استغل وجوده في ديوان الشيخ قدر وبحضور معظم مشايخ ووجهاء الكرك، فألقى قصيدة شعبية، حمّست الشيخ قدر وبقية المشايخ مما جعلهم يبرقون إلى السلطات العليا طالبين إلغاء السخرة وإلا ستكون العواقب وخيمة على الطرفين، فألغيت السخرة بقرار من الوالي، ولكن بعد أن تسربت القصيدة إلى بقية المناطق، وأصبحت أغنية يرددها الأهالي في مجالسهم، وضع الشاعر العكشة في القائمة السوداء، ولم يكترث بالتهديدات والإنذارات حتى ألقي القبض عليه ونفي إلى بلاد القفقاس وبقي في مكان نفيه حتى زوال الحكم العثماني عن البلاد عام 1918م، أما قصيدته المحفزة، فسنختار منها الأبيات التالية:
الله من قلب أضرمت بيه نيران جوّى ضلوعي زايد إلها الهابا
ع ديرة ما هي ملك ابن عثمان ظلت عزيزة بالشرف والمهابا
نزى السخرة خلت الناس نسوان إو غدت على بعض المخاليق نابا
عسكر كركنا شارب الشف فسقان حنا فريسة أو هم صاروا ذيابا
يا شيوخنا صفت عذارى بديوان والكل منهم ساعياً بالخرابا
حنّا الغنم وأنتم على الكل رعيان حسبي عليكو الله صرنا نهابا
شيخاً بلا عزوة ترى ماله الشآن إو عزوة بلا شيخاً بليّا مهابا
وين أبو سليمان اللي على الخيل قحطان صور العذارى يوم لجن عذارى
لا يا قدر يا شوق مسلوب الأبدان يا شيخ لا ترضى علينا الخرابا
لا عاد ما أبها سن مسنون وأسنان ما تقدروا ارتدون عن جوابا؟؟
بداية أخذ الأمر شكل التململ من ممارسات المتصرف وأركان حاشيته، فهذه القصيدة التي أثرت وحركت مشاعر ونخوة الشيخ قدر وزعماء الكرك، تروي صفحات مشرقة من حالة النهوض الوطني، وتلقي الضوء على شخصية وسيرة الشيخ قدر النضالية، وتتبدى مدينة الكرك كعاصمة للكرامة العربية، وتكرر أسماء مثل أبو سليمان (الشيخ سالم)، والشيخ (رفيفان)، والشيخ بركات، والشيخ حسين الطراونة (أخوة حمدة) والشيخ ساهر المعايطة، ويوسف المعايطة، وغيرهم من مشايخ الكرك، الذين وردت صفاتهم في القصيدة، وهي في 17 بيتاً وقد شرح أبياتها الصعبة الأستاذ المرحوم روكس بن زائد العزيزي في كتابه (معلمة التراث الأردني - الجزء الرابع) صفحة 271 و272 و273.
ولم يكتف الشيخ قدر بهذا الإنجاز الذي كان يحلم بتحقيقه كل أبناء المنطقة، بل هدّد المتصرف والقائمقام، وقائد الحاميات العسكرية بتحريض الأهالي إذا فكرت السلطة بتجاوز حدودها، وذلك عندما نمى إليه أن المتصرف وافق على بناء ثكنات عسكرية بالقرب من دار الحكومة، وبالقرب من دائرة البريد وخارج القلعة أيضاً، فاستجاب المتصرف وألغى قراره خوفاً من هبّة شعبية، إلا أن السلطات الإدارية في الشوبك أخذت تمارس الإذلال على الأهلين، وعلى النساء حصراً، فكان الشيخ قدر على موعد مع الانتصار لأهل الشوبك عام 1905م، وفي عام 1908م ينتصر لثورة الأهالي في شمال الجزيرة العربية، والتي عرفت بثورة (آل علي) وقادتها مشايخ عشيرة الطيار (نسبة إلى الصحابي الشهيد جعفر الطيار) والتفاصيل في الحلقة القادمة

نشأته وشبابه
ولد الشيخ قدر - كما ذكرنا في الحلقة الأولى - في بلدة (الربة) عام 1851م، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد شيخ الربة وإمام مسجدها، مثله مثل أبناء بلدته أو مثل بعضهم الذين كافحوا أميتهم وهم قلة لا يشكلون نسبة عالية بسبب سياسة التجهيل، وهي قائمة وسائدة في البلاد في ظل غياب المدارس في المنطقة والتي خضعت لأشد أنواع التجهيل والتخلف، حيث لم تعرف الكرك المدارس الرسمية إلا بعد عام 1893م، عندما اشترط مشايخ الكرك فتح مدرسة وترميم المسجد الكبير، مقابل دخول الأتراك الكرك بعد انسحاب الجيوش المصرية، لذلك كان نصيب قدر المجالي وأبناء جيله التعلم في الكتاتيب والمساجد والأديرة. أما الذين يطمحون بوظيفة رسمية فكانوا يذهبون للدراسة في فلسطين أو دمشق، لأن المادة 18 من الدستور العثماني تنص على معرفة اللغة التركية قراءة وكتابة شرطاً لتقلد وظائف الدولة. وقد اتخذت هذه لمادة (18) حجة لفرض تعلم اللغة التركية على جميع العرب. وعلى الرغم من الظروف المادية الجيدة والبيئية الاجتماعية العالية التي تربى فيها (قدر) إلا أن والده الشيخ صالح لم يغامر كما غامرت العائلات المسيحية بإرساله خارج الكرك لتحصيل تعليمه الرشيدي، أو كما فعل الشيخ عيسى عندما أرسل ابنه توفيق المجالي للدراسة في مكتب (عنبر) بدمشق، واصبح فيما بعد عضواً في البرلمان العثماني عام 1908م وعام 1912م، وبقي (قدر) بين أهله وذويه يتعلم منهم أصول العشائرية، والأعراف والعادات العربية التي هي من الأسس المهمة في تربية أبناء المشايخ.
وعندما بلغ (قدر) العاشرة من عمره، ظهرت عليه علامات الذكاء والفطنة وسرعة البديهة، وبدأ يستوعب عادات وتقاليد العشائر الكركية، مما لفت أنظار جده الشيخ محمد إليه، فاخذ يقربه منه، ويشرح له مقومات الرجولة، والتباهي بالانتماء وكان الشيخ محمد يقرب حفيده قدر منه على حساب الشيخ صالح ولي عهده بالمشيخة ووالد قدر، لأن قدر كان عقله أكبر من سنه .
أما والده الشيخ صالح فقد كان عند مستوى وصية والده فقد خصّ (قدر) بعناية جيدة، يرافقه في رحلاته ويجلسه بجانبه، ويعرف الضيوف عليه بـ الفارس الصغير، إذ بدأ قدر بركوب الخيل وهو في العاشرة من عمره، وشارك بسباق الخيل والهجن وهو ابن 15 عاماً، وقيل: كان قدر فارساً خيّالاً، يحب من الخيل البيض، ومن الهجن اللون الجملي! ويتشاءم من النوق السوداء، أو التي في جسمها منه، وكان هذا الاختيار لا يزعج والده، بل على العكس ينفذ رغباته، حيث كان يرى في ذلك تنمية للشخصية القيادية . ويقول الشيخ هايل المجالي: عندما بلغ قدر سن الـ 17 عاماً، أخذت شخصيته تبرز بين أبناء جيله، وكان شاباً شهماً غيوراً متواضعاً، فرض احترامه على أقرانه، وصار مثلاً وقدوة لهم، يتباهى الكبار من عائلته بأخلاقه ورجولته وفروسيته، وكان والده الشيخ صالح يكثر من الحديث عنه في مجلسه، فكانوا يثنون عليه وعلى أخلاقه الحميدة، والجميع يتمنون مصاهرته ليس لأنه ابن زعيم الكرك، وليس لأنه الشيخ المنتظر لعائلة المجالي، بل لأنه الشاب المتزن بالرجولة، ولصفاته هذه كانت فتيات الربة تهواه .
ويشهد على تنافس بنات الربة على قدر الشاعر الكركي عبد الله العكشة في قصيدة وصفية جميلة يقول في مطلعها:
لا يا قدر يا شوق مسلوب الأبدان يا شيخ لا ترضى علينا الخرابا
وقد فسّر لنا الأستاذ الكبير المرحوم روكس بن زائد العزيزي مطلع القصيدة في كتابه (معلمة التراث الأردني - الجزء الرابع) صفحة 273 بقوله: أستجير بقدر المجالي الذي تهواه جميلات النساء رشيقات الأجسام أيها الزعيم لا ترضى الخراب الذي ينصب علينا ..
ومن بين كل الجميلات المتنافسات، اختار (قدر) ابنة عمه زوجة له، وكانت نعم السيدة الفاضلة، وقفت إلى جانبه في كل المحن الصعبة، وهي السيدة شخص الفارس المجالي، وكان قدر عندما تزوج في العشرين من عمره، وشارك في حفل زواجه زعماء ومشايخ ووجهاء الكرك وقرى المحافظة، وجرى سباق للخيل، شارك فيه فرسان السلط ومادبا ومعان بالإضافة إلى فرسان الكرك.
أما أوصافه كما قال الشيخ هايل المجالي: فهو متوسط القامة، عريض المنكبين، عيناه تبرق كعيون الصقر سوداء اللون، كثيف اللحية والشاربين، وله ما يشبه الجدائل تتدلى من سوالفه، يرتدي الكوفية البيضاء الشامية، والعقال الأسود المجدول من الحرير الطبيعي، ويفضل لبس (الدامر) والعباءة المقصبة بالذهب وفي الشتاء يستبدلها بالفروة المصنوعة من جلود الخراف، وغالباً يكون استعمالها في ديوان العائلة.
ومن هواياته، ركوب الخيل، والسباق، والصيد المشترك، وكان يفضل الخروج إلى الصحراء وبصحبته مجموعة من أقرانه للصيد، وكان أشطرهم قنصاً .
ومن أنواع الأسلحة التي كانت بحوزته، السيف، والبندقية، والشبرية، والخنجر، وكان يفضل صناعة الكرك من الخناجر والشباري، وهي مشهورة بصناعتها منذ العصر الأيوبي والمملوكي وكان يمتلك أكثر من سيف وأكثر من بندقية، وترك متحفاً من الأسلحة الخفيفة، وكان يتبادل الهدايا مع شيوخ العشائر البدوية، وشيوخ شمال الجزيرة العربية.. .
كان (قدر) يكره الغزو والمحاربة بين القبائل والعشائر الجنوبية، ويصف الغزو بالمكرهه، وبإرث الجاهلية، لكن إذا فرض عليه وعلى عشيرته وعلى العشائر الحليفة، كان فارساً مقداماً، له تجارب في صدّ الغزاة عن الديار، وكان لا يرد وسيطاً للصلح، ويكرم الوسيط ويصفه بصاحب النخوة العربية .
تنصيب قدر شيخاً للمشايخ
بعد موت والده الشيخ صالح، أصبح قدر زعيماً وشيخاً لعشيرته ولعشائر الكرك، وقد نصّب لهذا المنصب العشائري باحتفال شعبي ورسمي، مثل الوالي العثماني متصرف لواء الكرك، وقد أصدر الوالي قراراً يقضي بتسمية الشيخ قدر المجالي زعيماً عشائرياً على الكرك، وعضواً في مجلس القضاء، وقام رجل الدين المسيحي الذي يعرف آنذاك بـ (الكاهن) وربط منديلاً حول عنق الشيخ قدر دلالة على الاعتراف بزعامته، ومبايعته، وأن الجميع أمانة في عنقه، وذلك عملاً بالتقاليد التي عرفت في الكرك عبر القرون الماضية، ويجب أن يكون المنديل أحمر اللون .
وتقتضي التقاليد العشائرية في الكرك أن الزعامة والمشيخة لا تتم إلا إذا قام (الكاهن) - ويكون من وجهاء النصارى - وأجرى الطقوس والتقاليد المتبعة، وعندها يكتسب (الشيخ) شرعيته القيادية، وشرط المنديل أن يكون أحمر.
أما لماذا اللون أحمر للمنديل؟؟ فالحكاية قديمة ومتوارثة منذ كانت عائلة المجالي في الخليل، حيث كان شعارها ورمزها اللون الأحمر، وهو شعار ورمز (القيسية)، بينما كانت اليمانية تتخذ اللون الأبيض شعاراً ورمزاً لها، وعندما جاءت عائلة المجالي إلى الكرك في القرن الثامن عشر، حرص مشايخها على هذه الطقوس والعادات القديمة المتوارثة.
وعلى الرغم من أن الشيخ جلال بن شديد هو أول مشايخ المجالية في الكرك، إلا أن الشيخ يوسف هو أول شيخ من المجالية يتقلد مركز شيخ مشايخ الكرك، وينصب حسب الطقوس والعادات القيسية، ومن بعد الشيخ يوسف تقلد هذا المنصب العشائري قبل الشيخ قدر ثلاثة مشايخ هم: عبد القادر بن يوسف المجالي، ومحمد بن عبد القادر المجالي، وصالح بن محمد بن عبد القادر المجالي، ويتضح من ذلك أن مركز شيخ المشايخ متوارث من الأجداد إلى الأبناء إلى الأحفاد، إلا في حالة عدم وجود أبناء ذكور للشيخ المتوفي، فتنتقل المشيخة للأخ الأكبر من الأشقاء، ومثال ذلك بعد استشهاد الشيخ قدر المجالي سنة 1917، آلت المشيخة إلى الشيخ عطوي بن صالح وذلك لعدم وجود أولاد للشيخ قدر، حيث كانت إرادة الله سبحانه وتعالى، أن لا يرزق قدر ذكوراً أو إناثاً.. .
شخصية الشيخ قدر القيادية
حددت الأعراف والتقاليد العشائرية مواصفات الزعماء الذين يتولون شؤون العشيرة وقضاياها المحلية والخارجية، ويتحملون تنظيم العلاقات الاجتماعية داخل العشيرة، وما بين العشائر الأخرى التي تتعايش معها، أو من تكون في جوارها، وهي مواصفات دقيقة، إذا نقص أحدها في شخصية الشيخ أو الزعيم شكلت نقطة ضعف تحسب عليه ويتوجب تلافيها عند الشعور بها شخصياً، أو إشعاره بها من قبل جماعته الأكثر قرباً منه، والأكثر حرصاً على سمعته وحسن قيادته، وهذه المواصفات ملزمة على شيخ مشايخ العشائر، وعلى شيخ العشيرة في المقام الأول، ومن بين هذه الشروط في شخص الزعيم العشائري: الجذور النسبية العريقة، والوضع المادي الجيد والمريح، والسمعة الطيبة، والأهم من ذلك كله يتوجب على شيخ المشايخ أن يكون قبل وأثناء مهماته القيادية، كريماً، شهماً، ذكياً، عاقلاً ومتعقلاً، تقياً، أميناً، شريفاً، حكيماً، عادلاً، ملماً بشؤون العشائر وعاداتها وتقاليدها، بالإضافة إلى القدرة القيادية والتي هي من أهم المواصفات والصفات، وبخاصة في الظروف الصعبة والحالات الاستثنائية مثل الظروف والحالات التي عاشها وعايشها، وعمل في ظلها وتفاعل مع أحداثها الشيخ الجليل قدر المجالي. وقال لي الزميل الأستاذ راكان المجالي:
ثلاثة مشايخ تقلدوا منصب شيخ المشايخ في الكرك وكانوا قدوة وحالة استثنائية في تاريخ الكرك هم: يوسف ومحمد وقدر المجالي، ويليهم في قوة الشخصية القيادية والإرادة الصلبة دولة المرحوم هزاع المجالي .
تسلم الشيخ قدر المشيخة وهو يرتكز على قواعد متينة وقوية، مكنته بالإضافة إلى مؤهلاته القيادية، أن يكون الشيخ الخامس لمشايخ عشائر الكرك، حيث كان جده (محمد) الشيخ الثالث، وشغل هذا المنصب من عام 1842 إلى عام 1866م، والشيخ صالح من عام 1866 إلى عام 1900، والشيخ قدر من عام 1900 إلى عام 1917، وهو الشيخ والزعيم العاشر في عشيرة المجالية.
أما لماذا يتم اختيار شيخ مشايخ الكرك من عائلة المجالي؟
أجاب على هذا السؤال الباحث الأوروبي (بيتر جوبسبر) في كتابه (السياسة والتغيير في الكرك - الأردن)، بأن عائلة المجالي تتميز عن غيرها من العائلات الأردنية بعامة والكركية بخاصة بالأمور التالية:
- يملك أعضاؤها حساً بالتماسك القبلي.
- تملك العائلة ثروة كبيرة وأراض شاسعة.
- حكمة شيوخها، وبخاصة في المواقف الحيادية من بعض القضايا ذات النزاع العشائري، ولم تكن عائلة معتدية ولكنها ترد العدوان عن نفسها.
- حمايتها للعائلات الصغيرة وبخاصة العائلات المسيحية.
- المجالي أكثر العائلات تزاوجاً فيما بينهم.
وعن مفهوم العمل القيادي العشائري عند الشيخ قدر المجالي، تلقيت أربع رسائل إجابة على ذلك، إضافة إلى مقالات شفوية واتصالات هاتفية مع شخصيات كركية وغير كركية، نذكر منهم: الأستاذ حسين الضمور، الدكتور العين فواز أبو تايه، راكان المجالي، فراس المجالي، هايل العزام.. وغيرهم وألخصها بالمعاني التالية.
القيادة العشائرية دائماً تفاعل اجتماعي نشط مؤثر موجه، وليس مجرد مركز ومكانة وقوة، وهكذا كان ينظر إليها الشيخ قدر المجالي، حتى قبل أن يتسلمها رسمياً، فقد تعلم أصولها وفنها من والده الشيخ صالح .
وكان يراقب كيف كان والده يدير أمور عشيرته، ويوفق بين العشائر الكركية الأخرى، فكان ثري المعرفة بكافة الأمور العشائرية، فاكتسب تجربة كبيرة لأن ولاية والده لمركز المشيخة كانت طويلة، مدتها 44 عاماً، لذلك عندما تسلم القيادة العشائرية مارس دور القائد من أجل الجماعة، ووظف معاييرها الخاصة لصالح الجميع .
رأى الشيخ قدر أن مفهوم القيادة يرتبط بالجماعة أكثر من ارتباطه بالأفراد، فهو بهذا المعنى يكون بؤرة السلوك، ويكون الشخص المركزي في الجماعة، فهو مجالي العشيرة والنسب، ولكنه من حيث المهمة الاجتماعية مرجعية لكل العشائر والعائلات الكركية، وشيخ المشايخ هو الذي يقرب في سلوكه مع الجماعة، أي أنه يجمع بين صفات شيخ العشيرة وصفات شيخ المشايخ

مولده واسمه
قدر بن صالح بن محمد بن عبد القادر بن يوسف بن سليمان بن سالم بن غبن بن عبد الله بن غبن بن شديد بن ارميذان بن جلال بن شديد، ولد في بلدة (الربة) في محافظة الكرك، ليلة 27 رمضان عام 1267 هجري، الموافق ليوم 25 حزيران عام 1851م.
وقد استبشر والده الشيخ صالح بن محمد بولادته في هذه الليلة المباركة التي يخصها العالم الإسلامي بالدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، حيث أجمع علماء الشريعة الإسلامية على أن ليلة 27 رمضان هي ليلة (القدر) وقد أعزّ الله هذه الليلة المباركة في كتابه الكريم بقوله تعالى: إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر .
ولا نعرف بالتأكيد إذا كان اسم (قدر) له علاقة بيوم ولادته، أما اسم (علي) فقد أطلقه على نفسه كإسماً حركياً بعد انتكاسة ثورة الكرك التي أعلنها على الأتراك عام 1910م، وهناك روايات كثيرة حول هذا الاسم الحركي (علي) وجميعها تؤكد على أن الاسم الجديد أطلق على قدر خلال فترة تخفيه من السلطات العثمانية التي بدأت تلاحقه منذ اليوم الأول للثورة، يقول المرحوم العلامة روكس بن زائد العزيزي في كتابه (معلمة التراث الأردني) الجزء الرابع، صفحة 279 : إن قدر المجالي كانوا يسمونه (علي) اسماً حركياً ليردوا عنه العين الشريرة الحاسدة وفي الصفحة 280 من الكتاب يقول العزيزي: وتسميته بـ علي جاءت يوم فرّ من وجه الحكومة العثمانية بعد إخفاق الثورة.. .
وفي رسالة بعثها مشكوراً الأستاذ فراس المجالي قال فيها: لقد سمي قدر باسم (علي) وذلك بعد إعلان الثورة، وكان الاسم اسماً حركياً متفقاً عليه بين الجميع خوفاً من أن يعرفه الأتراك ويتوصلوا إليه لأنه كان مشرداً في مضارب بني حميدة..
وفي رسالة توضيحية مطولة بعثها الشيخ هايل عزام المجالي قال فيها: عرف باسم (قدر)، وكلمة (قدر) في اللغة العربية تعني (العظيم) والبعض من أهل الكرك يسمونه (قِدر) وكلمة (قِدر) تعني الوعاء الكبير، كناية عن الجود والكرم، وفي كلتا الحالتين تنطبق التسمية على الشيخ قدر، فقد كان كبيراً وعظيماً وكريماً، وبعد حملة الفاروقي على الكرك والحملات التي تلتها لإحباط ثورة الكرك، اضطر قدر بن صالح المجالي إلى التخفي تحت اسم (علي)، وبلغت مدة تخفيه ثلاث سنوات، رافقه خلالها سعود وسعدون ولدا أخيه الشيخ الشهيد عبد القادر، وتعامل معه كافة المواطنين بهذا الاسم الحركي، ولم يظهر علانية إلا بعد صدور العفو العام السلطاني وكافة الشعر الذي قيل فيه أثناء مدة التخفي، وكافة أخباره بين المواطنين كانت تحت اسم (علي)، وإطلاق هذا الاسم كان فقط خلال فترة التخفي ولم يطلق عليه إلا بعد انتكاسة الثورة .
وكان الشاعر البدوي سالم أبو الكبائر من عشيرة الشرارات يخاطب الشيخ قدر عندما كان مطارداً من السلطات التركية، تحت اسم علي، تمويهاً وخوفاً من أن تعرف هذه السلطات مكانه. وفي قصيدة طويلة يقول في مطلعها:
استحمد الله يا علي عدوهم خاف
ذبح العساكر والملا تشهد إللي
العز طاف واعتلى راس مشراف
وهبيت يا للي بالمراجل تذلي
رميل الكرك باقوا ولا أحد شاف
ويوم الملازم يا علي قدر ما خطن لي
أنت سميتك علي وأنا أخاف
صيتك شهر قرناس صقراً مطلي
ونظراً لصعوبة فهم الكثير من مفردات القصيدة، قمت بزيارة الشيخ هايل المجالي وطلبت منه شرح أبيات القصيدة بيتاً بيتاً، وقام بذلك مشكوراً مع ترجمة موجزة للشاعر أبو الكبائر..
نسبه وعائلته
يعود نسب الشيخ قدر وعائلته (المجالي) إلى ذرية الصحابي الجليل (تميم بن اوس الداري) وهو من قبيلة (لخم) القحطانية التي نزلت بلاد الشام في أواخر القرن الثاني للميلاد، واستقرت في ناحية وجنوب البحر الميت.
من الواضح - كما ورد في المصادر التاريخية - أن عشيرة المجالي بجذورها التميمية هاجرت من شمال الجزيرة العربية وربما من تبوك كما يقول المؤرخ نجم الدين الغزي إلى الخليل بعد الفتح الإسلامي، وفي عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق، بدليل الرسالة التي بعثها (رضي الله عنه) إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح يقول له فيها: بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر إلى عبيدة بن الجراح.. سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، امنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين وإن كان أهلها قد ج&#243;لوا عنها وأراد الداريون أن يزرعوها فليزرعوها فإن رجع أهلها إليها فهي لهم وأحق بهم والسلام عليك
وكان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) قد كتب إلى الداريين كتاباً قال لهم فيه: هذا الكتاب من أبي بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استخلف في الأرض بعده، كتبه للداريين أن لا تفسد عليهم مأثرتهم قرية حبرى وبيت عينون. فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منها شيئاً .
والأصل فهم من بني تميم القبيلة الكبرى من الحجاز قبل أن يقطعهم المسلمون إقطاعا في الخليل
ويعد الشيخ أحمد المجالي، ناظر الوقف في الحرم الإبراهيمي، الجد المؤسس لعائلة المجالي قبل هجرتها من الخليل إلى الكرك في بداية القرن الثامن عشر، أما مؤسس العائلة في الكرك فهو الشيخ (شديد) ثم آلت إلى ولده (جلال) وقيل أن الشيخ جلال بن شديد هو الذي قاد جموع المجالي إلى الكرك.
الهجرة إلى الكرك وأسبابها
تعرضت عائلة المجالي إلى ضغوطات كثيرة من عشائر (بيت لحم) التي ينتسب أهلها إلى (اليمانية) بينما عائلة المجالي تنتسب إلى (القيسية)، لذلك كان الصراع شديداً بين القيسية واليمانية، يقول المؤرخ مصطفى الدباغ في كتابه (بلادنا فلسطين - الجزء الأول) صفحة 117 ما يلي: فالنزاع القائم منذ القديم بين أهل البلاد، يجعلهم متحفزين دوماً للقتال وخوض الحروب الأهلية، وكثيراً ما يغير بعضهم على أراضي البعض الآخر، فيتلفون الزرع ويقلعون الشجر، ويخطفون الغنم والمعز والإبل، وقلما يحاول الحكام ردعهم من جراء عجزهم وضآلة نفوذهم
ثم يقول في مكان آخر: وكانت العائلات المحايدة تقول: نحن لا مع قيس ولا مع يمن، لذلك، المجالي وسكان بيت لحم أضداد وخصوم، وهذه الحروب الأهلية شجعت بعضهم على الهجرة من البلاد ومغادرة المنطقة طلباً للأمان والاستقرار .
والخلاف الذي كان بين المجالية وأهل الخليل عموماً وأهالي بيت لحم يعود أصلاً إلى صناعة العنب (الكرمة)، فأهل بيت لحم يريدون تصنيعها (خمراً) لأن غالبيتهم من النصارى، والمجالية وأهل الخليل يريدون تصنيعها (زبيباً) لأن الخمرة محرمة على المسلمين، ووصلت الأمور بين الطرفين إلى رفض الخلايلة بيع ثمار العنب إلى (التلاحمة)، مما أثار غضبهم، فأقدموا على حرق معظم أشجار الكرمة في محيط الخليل، فاشتعلت الفتنة بين الطرفين فضعفت تجارة الخمور، مما قلّ إنتاج (الزبيب) الذي كان يورد إلى القدس وغزة والجنوب الأردني. وهذه حالة من حالات الأسباب التي شجعت الهجرة من الخليل ومن بيت لحم أيضاً. ويذكر المؤرخ مصطفى الدباغ في كتابه (بلادنا فلسطين) بأن عائلة الشيخ جلال بن شديد المجالي كانت من أكثر العائلات التصاقاً بالأرض، وكانت من أكثرها إقطاعاً، أراضيها مغطاة بغابات البلوط والصنوبر، وبساتين الزيتون والكروم، ويزرعون القطن فيغزلونه ويبيعونه في القدس أو غزة . ويشهد الرحالة السويسري (بيركهارت) في كتابه (رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية) صفحة 110- 122 على أن تجار الخليل كانوا على خلق عظيم في سلوكهم التجاري، وعرف التجار الخليليون في جميع البلاد التي نزلوها بصدق أقوالهم واستقامة في معاملاتهم . وفي شهر تموز من عام 1812م قام هذا الرحالة السويسري برحلة إلى الكرك، وبحث في أصول عائلاتها وأسباب هجرتهم إليها، وكانت المساحة الواسعة عن هجرة المجالي إلى الكرك، يقول في ذلك: تقدمت الخليل في القرن الثامن عشر في تجارتها فقد أخذ أهلها بالهجرة من بلدهم التماساً للرزق وطلباً للتجارة، واتجه الخليليون إلى مدينة الكرك وقراها واستقروا فيها حتى أضحت التجارة بأجمعها في أيدي بضعة تجار منهم وفي أيدي أصحاب الحوانيت الذين نزلوا القرى وجنى جميعهم أرباحاً كبيرة .
مشيخة المجالي
عند الهجرة المجالي إلى الكرك كان يتنازع الزعامة في الكرك عشيرتان قويتان هما عشيرة العمرو وعشيرة الأمامية، في ظل هذا التنافس العشائري، كان الشيخ جلال بن شديد، يراقب الأحداث عن كثب، وبحيادية مطلقة، وكانت له أهدافه من وراء هذه الحيادية، وكان يشرك ولده الأكبر في التخطيط للوصول إلى الزعامة، ولكنها لم تحصل إلا في عهد الشيخ (سالم)، بعد أن تجاوزت العشيرتان مقولة (العشيرة الوافدة) وأصبحت من العشائر الكبيرة والغنية، كونها لم تشارك في المحاربات الداخلية.
ومن أجل فرض هيبتها على العشائر الكركية الفلاحية تحالفت المجاليةمع العشائر البدوية: بني صخر، وبني حميدة، والحجايا، وهذا الحلف هو الذي أنهى زعامة وقوة (العمرو)، وبعد هذه المعارك الأهلية، وجدت قوى جديدة على الساحة الكركية، هي القوى البدوية التي فرضت (الخاوة) على العشائر الصغيرة، واستولت عشيرتا الحمايدة والحجايا على جزء كبير من الأراضي، وهذا الوضع الجديد عجّل من وفاة الشيخ سالم، لكن الأمور عادت إلى طبيعتها في عهد الشيخ يوسف المجالي الذي كان يتمتع بسمعة طيبة، فأجمعت عليه جميع العشائر الكركية، وباركت السلطة العثمانية هذا الاختيار بمرسوم سلطاني، وقد أكد الزميل الأستاذ راكان المجالي، بأن مباركة السلطات العثمانية ممثلة بالسلطان أو بالباب العالي، باختيار الزعيم العشائري في الكرك، كان فريداً من نوعه لم يسبق لعشيرة أو زعيم أن حصلوا على هذه المكرمة، فأصبح حضور ممثل السلطان حفل تنصيب الزعيم من أولويات طقوس التنصيب.
بعد وفاة الشيخ يوسف، تولى الزعامة والمشيخة ابنه الشيخ عبد القادر، وترافقت مع الاحتلال المصري للبلاد بقيادة إبراهيم باشا في الربع الأول من القرن التاسع عشر، وبالتحديد سنة 1832م، ولما فرض إبراهيم باشا التجنيد الإجباري، وفرض أعمال السخرة على أهالي البلاد، أعلن الشيخ إسماعيل المجالي الملقب بـ (الشوفي) الثورة على المصريين، وأخذ يحرض الأهالي على التمرد ورفض الذهاب إلى معسكرات الجيش للعمل في الإنشاءات العسكرية بأساليب السخرة والعمل المجاني، فأخذت السلطات تلاحقه في كل مكان، فغادر الكرك واتجه إلى مضارب الحويطات، إلا أن السلطات تمكنت منه وألقي القبض عليه فسيق إلى فلسطين، ونفذ به حكم الإعدام شنقاً.
لم يكتف إبراهيم باشا بإعدام الشيخ اسماعيل الشوفي ، بل قام بحملة عسكرية على الكرك ونكل بأهلها، وساق شبابها إلى معسكرات التجنيد، ونفذ حكم الإعدام بشخصيات كركية أخرى بالحرق الجسدي كما فعل بالأخوين (علي) و(سيد) إبراهيم الضمور، وكانت هذه الثورة من محفزات العمل الجهادي فيما بعد عند الشيخ قدر المجالي.
بعد وفاة الشيخ عبد القادر تولى المشيخة والزعامة الشيخ محمد بن عبد القادر، وهذا الشيخ يعد من أعظم مشايخ المجالي لما يتمتع به من قوة الشخصية المهابة، والرأي الصائب، والقدرة على التوازن بالإضافة إلى الكرم والشجاعة والتواضع أيضاً، وهو الذي عزز زعامة المجالي في الكرك، بانتصاراته على القوى المنافسة فأعاد للمجالي مجدها وسيادتها، فأضحى المجالي سادة، لديار الكركية ، وتولى من بعده مشيخة الكرك الشيخ صالح الذي كان موضع ثقة وتقدير جميع عشائر الكرك، ومن بعده آلت المشيخة إلى الشيخ قدر المجالي في عام 1905م**

**الشيخ إسماعيل المجالي (الشوفي ) أول شهيد أردني يعدم على أسوار القدس**

 **الشيخ إسماعيل المجالي الملقب بـ "الشوفي " أول شهيد أردني يعدم على أسوار مدينة القدس فهو احد قادة أول ثورة في بادية الشام ضد الحكم العثماني التي حدثت في عام 1832 وهو اكبر أبناء الشيخ يوسف بن سليمان المجالي ال مزروعي التميمي حيث جاء السبب الرئيسي لقيام تلك الثورة على خلفية لجوء ثوار نابلس بزعامة قاسم الأحمد "الجمّاعيني" إلى مدينة الكرك هربا من بطش إبراهيم بن محمد على باشا الألباني .

ويقال في الشيخ إسماعيل الشوفي " الشوفي لن وعد يوفي " حيث كان يصدق القول ويصون العهد وفارسا مغوارا في ميادين القتال والمبارزة وكانت له قبضته الشديدة على السيف لحد أن تسيل الدماء من يده من شدة تمسكه في السيف أثناء القتال .

وجاء اشتهار عشيرة المجالي بنخوتها ل خضرة,من خلاله في حادثه عين سارة وخضرة هي إحدى بنات الكرك من عشيرة المداحة حيث قامت باعتراض طريق الشيخ إسماعيل الشوفي في منطقة سيل الكرك والذي يسمى " بعين سارة " حيث كن آنذاك يتجمعن لملئ قراب الماء ومن ثم يقمن بنقلها إلى قلعة الكرك إجبارا لخدمة نساء حاشية القلعة من الأتراك وقامت خضرة باعتراض طريق الشيخ "الشوفي" و من معه وقالت له :
" ماتشوف ألمي تسيل من على ظهورنا يا إسماعيل " وتقصد بذالك الظلم والإجبار الواقع على بنات الكرك .

وعندها صاح الشوفي بأعلى صوته قائلا " وأنا اخوكي ياخضرة " و عاد أدراجه إلى الكرك وقام بحشد الجمع من عشائر الكرك ومهاجمة حامية الخليل التابعة للجيش التركي والقضاء عليها وبعد تلك الحادثة قام الأتراك بطلب الصلح من الشيخ إسماعيل وكان من أول بنود هذا الصلح عدم إجبار بنات الكرك على نقل المياه أو خدمة نساء الحاشية التركية .

وعلى اثر تلك الحادثة أتت نخوت المجالي المشهورة " إخوات خضرة " وبعد تلك الحادثة بزمن قامت ثورة الكرك الأولى في عام 1832 حيث سطرت في تلك الثورة أجمل صور التضحية و الأصالة العربية " والد الذبيحين " وكان من أبطالها الشيخ إبراهيم الضمور وزوجته عليا.

فعندما جاء قاسم الأحمد زعيم جبل نابلس أو جبل النار كما كان يطلق عليه آنذاك ومن معه إلى الكرك ودخل على أهلها و وجد من يأويه دون أن يحسب حساباَ لنفوذ الدولة العثمانية آنذاك . بل أن الأحمد لم يجد سوى زوجة إبراهيم الضمور "عليا" في البيت فدخل عليها خوفاً من العثمانيين الذين كانوا يطاردونه لقتلة فوجد من زوجة إبراهيم الضمور ما كان يرجوه.

وعندما حضر الشيخ إبراهيم الضمور رحب به اشد الترحيب وقال لعلّك أنت المطلوب للدولة العثمانية وقبل دخالتة وقال له "ابشر تراك وصلت وبعون الله ما يصيبك ضيم". في تلك الأثناء مكث عند الشيخإبراهيم
وعندما علم إبراهيم باشا بوجود قاسم الأحمد ومن معه في الكرك أرسل برسالة إلى الشيخ إبراهيم الضمورمفادها أن يسلم الدخيل مقابل أن نجعلك أميرا من أمراء الدولة .

فرد إبراهيم الضمور بقوله (نحن لا نسلم الدّخيل ) . فبحث العثمانيون عن طريقة يرغمون فيها الزعيم إبراهيم الضمور على تسليم دخيله فلم يجدوا إلا اختطاف ولدية (سيد وعلي ) اللذين كانا يتدربان على الفروسية ويتفقدا المراعي في احد سهول الكرك . وبعد أن تمكّن من الولدين أرسل إبراهيم باشا رسالة أخرى إلى إبراهيم الضمور تقول ( سلم الدخيل و إلا احرقنا ولديك).

استشار إبراهيم الضمور زوجته في الأمر وكان الرد ( في الأولاد ولا في البلاد ) وطلب العون من رفيق دربه الشيخ إسماعيل الشوفي و شيوخ عشائر الكرك فأشاروا علية أن يدعهم يدخلون الكرك وسنقوم بصدهم وهزيمتهم .وبدأ أبناء الكــرك يرددون ( ياشيخ حنا عزوتك ع الحرايق ودنا) في تلك الإثناء كانالدخيل معززّا مكرما رغم حالة الغليان التي كانت سائدة

عندها أرسل الشيخ إبراهيم الضمور رسالة إلى ابراهيم باشا مفادها ( إذا أردتم أن تحرقوا أولادي فسوف أرسل إليكم القطران ) الأولاد بتعوّضوا . وعلى أبواب الكرك وفي محاولة أخيرة لتسليم الدخيل أشعل العثمانيون ناراً هائلة من القطران والحطب ثم أحرقوا احد أبناءها فانطلقت أمة بالزغاريد , فاشتطا إبراهيم باشا غضبا ثم احرقوا الأخر أمام أعين الجميع .

وبعدها قامت حشود الأتراك باقتحام المدينة وتدميرها بواسطة المنجنيق حيث تصدا لهم أبناء الكرك وكانت مذبحة قتل فيها المئات من أبناء الكرك وبسبب كثرة العتاد والعدة التي كانت بحوزة جيش الأتراك تمكنوا من اقتحام المدينة و قام على الفور الزعيم إسماعيل الشوفي وابن أخيه الصبي صالح بن عبدالقادر يوسف المجاليبمحاولة لتهريب الدخيل إلى الحجاز .

وطارد جيش إبراهيم باشا الشوفي ودخيله فتبرّع احد أبناء الكرك من عشيرة الحباشنة واسمه"جلحد" ليدل الجيش على مكان الدخيل، فرحبوا به، فأخذهم إلى احد المنحدرات الوعرة فهلك من الجيش عدد كبير في كمين كانوا أعدوه لهم مسبقا ،فضرب ببطولة جلحد المثل الكركي المعروف" دلّة جلحد"،.

لكن الجيش استمر في مطاردة الشوفي ومن معه على طول الطريق حتى كادوا يهلكوا من شدة الإجهاد والتعب حيث قرر الشيخ إسماعيل التضحية بنفسه في سبيل تخليص الأسير و قام بسلوك طريق مغاير من اجل تضلل الجيش و إجبارهم على ملاحقته , وتمكن الأتراك من القبض على الشيخ إسماعيل في مدينه معان بسبب احد الوشاة ويدعى ( أبو ذخيري ) حيث نقل إلى مدينة القدس ليعدم على أسوارها أمام الملا ,حيث أبا شيخنا أن يعدم شنقا وأصر أن لا يعدم إلا بحد سيفه ويقال أيضا أن الحكومة العثمانية أخلت سبيل الصبي صالح لكنه اثر البقاء مع عمه إسماعيل ليلقى المصير نفسه**

**المجالي نسب وأصل ونفوذ**

أسجل في هذه المخطوطة حياة رجل ينتسب إلى عشيرة المجالي ، من عشائر الأردن ، ولا بد حسب إعتقادي من ذكر معلومات موجزة عن هذه العشيرة ما دام أن الرجل الذي نتحدث عنه ينتسب لهذه العشيرة ، ونتيجة لاطلاعي على محفوظات هذا الرجل وجدت بينها مخطوطة تتحدث عن تاريخ عشيرة المجالي ، والتي أنقلها تالياً وكما وردت دون أي تغيير .
أن الأمانة العلمية تفرض علي أن أبين عدم إعتقادي أن هذه المخطوطة هي من جمع هذا الرجل وإعداده لكن وجودها بمذكراته يشعرني أن المرحوم صالح لم يحفظها بين أوراقه إلا لأنها مهمة
فهي بنظره – كما أظن – صادقة وصحيحة فاحتفظ بها بين أوراقه وثيقة من الوثائق ، ولكي أتمكن من من تزويد القارئ ببعض المعلومات عن هذه العشيرة فأنني أعتقد أن تضمينها لسيرة حياته ذو فائدة كبيرة .
وللأمانة العلمية أقول أنني أشك في أن تكون هذه المخطوطة من إعداد أبي ، ذلك لنقص الأدلة على إعداده لها ، مما يجعلني على تبرئته مما أُ درج فيها وكما أعلن وللأمانة العلمية أيضاً أني غير مسؤول عن صحة محتوياتها وسأدرج في نهاية الفصل كشفاً بأسماء الذين قتلوا أبان ثورة الكرك كما هي مخطوطة ضمن مذكرات المترجم له .
**عشيرة المجالي نسبها وأصلها :**
تنتمي هذه القبيلة إلى الصحابي تميم الداري ولقد استوطن أحفاده مدينة الخليل وتولوا فيها جمع ما يسمونه ( الودي ) لإصلاح مقامات الإنبياء والرسل في تلك المنطقة ، ومساعدة الفقراء والمحتاجين فتوسعت مناطق نفوذهم بحيث شملت منطقة شرق الأردن.و في ذلك الحين انتدب أحد المشرفسن على هذه الجباية ويدعى ( شديد ) ليتولى جمع ( الودي ) من قبائل شرقي الأردنوتتابعت سفراته إلى تلك المنطقة فلما أنس بهم وتعرف على طباعهم وعاداتهم طاب له المقام فاستوطن في مدينة الكرك وتزوج من امرأتين ، الأولى من عشيرة الشوابكة والثانية من عشيرة اليزايدة من سكان البلقاء فأنجب منهما أربعة أولاد هم :
1- جلال جد قبيلة المجالي
2- ياسين جد عشيرة البيايضة
3- رشيد جد عشيرة معايطة بتير
4- عبدالله جد عشيرة معايطة أدر

وبعد أن استوطن في مدينة الكرك استمر في جمع ( الودي ) كعادته .
**السكان الأصليون لمدينة الكرك ولوائها : -**
كان يقطن الكرك ولوائها فئتان : **الفئة الأولى** : قبائل العمرو ، وكانوا آنذاك هم اصحاب النفوذ وأسياد المنطقة ويمتد نفوذهم من ( المسن ) حتى سيل ( الحسا ) وهم قبائل رحّل يتنقلون في جميع مناطق شرقي الأردن ويجوبون مناطق أخرى طلباً للرزق وبسط النفوذ وكان ممن ينازعهم في نفوذهم هذا قبائل بني حميدة التي كانت تقطن في المناطق الواقعة ما بين لواء البلقاء ومكان يدعى ( المسن ) من أراضي الكرك .
**الفئة الثانية** :وتدعى الامامية وتتألف من حمائل الطنشات والأغوات والكركيين والبشابشة والقضاة والبنويين ، وكانوا يستغلون أراضي قبائل العمرو الكائنة في منطقة الكرك مقابل أجر متفق عليه .
**بدء نفوذ عشيرة المجالي في الكرك :**
أنجب جلال أحد أبناء شديد ولدين هما أحمد وهذا أنجب ثلاثة أولاد هم سلامة وسالم ومحمد . وكان أحد أولاد أحمد والمدعو سالم أشد أولاده بأساً ودهاءاً ، وفي عهده حصل قحط وجدب شديدين اجتاحا المنطقة ، واضطرت قبائل العمرو على أثر ذلك النزوح إلى أماكن أخرى فانتهزت قبيلة الصريدات إحدى قبائل الحجايا التي كانت في أراضي وادي الحسا والفيلة نزوح قبائل العمرو وقدمت الى الكرك طمعاً في الإستيلاء على بعض الأراضي التي تستغلها عشائر الكرك وتسمى هذه الأراضي ( عياتا ) الواقعة في الجهة الشرقية من قرية مؤتة حتى حدود الصحراء فما كان من سالم المجالي إلا أن جمع عشائر الكرك وقبائلها وأثار فيهم النخوة والمروءة وأظهر لهم أنه من العار أن يستولي على هذه الأراضي قبائل دخيلة على البلاد فاستجابوا إلى رأيه السديد وحملوا متآزرين جميعاً على قبيلة ( الصريدات ) وأوقعوا بهم خسائر فادحة وردوهم من حيث أتوا . وفي ذلك التاريخ صار سالم المجالي وقبائل الكرك يستغلون تلك الأراضي ومن اصحاب التصرف فيها . وفي تلك الأحيان شعر سالم بازدياد نفوذ قبائل الكرك ( الأمامية ) فأوجس منهم خيفة وصار يدبر لهم المكائد للتخلص منهم ولكي يبسط نفوذه ويتولى الزعامة في الكرك ، وبينما كان الأمامية محتفلين بعيد الفطر جمع خاصته وهجم عليهم وقتل أكثر المجتمعين وكسر شوكتهم ، ومنذ ذلك الحين صار صاحب السيادة والنفوذ في مدينة الكرك

بعد مضي بضع سنوات على تلك الحادثة ، عادت عشائر العمرو الى الكرك فوجدت سالم المجالي واتباعه يستغلون أراضيهم فعز عليهم ذك وقاموا بمطالبة سالم المجالي وأتباعه لرفع أيديهم عن الأرض بدعوى أنها ملكهم ، فما كتان من سالم المجالي إلا أن أدعى أن هذه الأرض استولى عليها من عشيرة ( الصريدات ) بعد معارك دامية وقعت بين عشائر الكرك التي يرأسها وبين عشيرة الصريدات كما ادعى أنها وقف الى مقام خليل الرحمن في مدينة الخليل وبعد اجتماعات عديدة اتفق الطرفان على حل هذه المشكلة وهو أن يقسم الشيخ حمد بن جلال بصفته كبير السن وهو عم الشيخ سالم اليمين ليبين من هم أصحاب هذه الأراضي ، وبعد الإتفاق خرجوا جميعاً الى موقع الأرض بينما هم يجوبون اطراف الأراضي تلك ، إذ بغراب ينعق فوق رؤوسهم فنزل حمد من على فرسه وأخذ يصنع تراباً في حذائه وتقدم عاري القدمين يعين حدود الأرض المتنازع عليها بالحجارة كما هي العادة المتبعة في ذلك الوقت وأقسم يمينه المشهورة بقوله: ( أقسم انني أملك هذه الأراضي من يوم ما نعق غرابها وأنا أمشي على ترابها ) وبعد ذلك رفع العمرو أيديهم عن تلك الأراضي لما لهذه اليمين العظيمة من تأثير في نفوسهم .

توفي الشيخ سالم بعد أن أنجب ولدين هما جبر وسليمان وعلي وأحمد ، ولكن الزعامة بعد وفاة الشيخ سالم آلت إلى خليل بن محمد شقيق الشيخ سالم وتزعم خليل الكرك زعامة حقة ، ولقد حدث في عهده منازعات قوية بين قبائل العمرو بزعامة ابراهيم بن جبر الثبيتات من جهة وبين قبيلة الحناحنة من بطون العمرو من جهة أخرى لأسباب عائلية ، وأخيراً تغلبت قبائل العمرو على الحناحنة ونزحوا إلى جهات البلقاء بجوار بني حميدة بعد أن وهبوا ما يخصهم من أراضي إلى الشيخ خليل المجالي وائتمنوه عليها لحين عودتهم وسبب ذلك أن الشيخ خليل ولد أختهم .
هبت عشائر العمرو للمطالبة بأراضي الحناحنة وقرروا تخليصها من الشيخ خليل بطريقة الغدر باغتياله ، فدعوه إلى مضاربهم ذات ليلة ، وبينما كان في بيت الضيافة شعرت امرأة من قبيلة الحناحنة بالأمر فعز عليها اغتيال الشيخ خليل لصلتها به فأنذرته بطريقة سرية فهرب فصار يفكر بأمر يستطيع به السيطرة على تلك الأراضي والإبقاء على زعامته فلجأ الى عشائر بني صخر ومنهم الحامد والفايز ، واستنجد بهم على قبائل العمرو لما لهم من قوة وكثرة وشدة بأس
مقابل أن تأخذ قبائل بني صخر ( الخاوة ) من عشائر الكرك ، فاستجابت عشائر بني صخر لهذا العرض وقدمت الى الكرك مزودة بأسلحتها ، وانضمت اليها عشائر الكرك مع الشيخ خليل وقومه وتحاربوا مع العمرو وتغلبوا عليهم ، ومن ثم تمت رغبات الشيخ خليل التي كان يهدف اليها وصارت الكرك تدفع الخاوة لقبائل بني صخر تنفيذاً ووفاءاً بالوعد الذي قطعه على نفسه .إستمرت زعامة الشيخ خليل مدة طويلة من الزمن وفي أثناء زعامته مرت على البلاد سنة قحط ومحل فلجأت قبائل الكرك الى زعيمهم الشيخ خليل لينجدهم ويواسيهم لأنه كان ثرياً ويخفف من ويلاتهم ، ورجوه أن يقرضهم ما يحتاجونه من الحبوب أو أن يسافر معهم إلى فلسطين لشرائها من هناك لكثرتها ورخصها ، ولكنه رفض وقد شجعه على ذلك شقيقه غبن فما كان منهم إلا ان استاؤوا من هذه المعاملة وذهبوا الى يوسف بن الشيخ سالم وكان فقير الحال فلم يتمكن من مساعدتهم بشيء ولكنه وافق على السفر معهم إلى فلسطين‘ وسافروا جميعاً براً عن طريق غور الكرك – فلسطين . ولما علم الشيخ خليل بسفر يوسف خشي أن تؤول الزعامة إليه بسبب تنكره لعشائر الكرك ولجوئهم إلى يوسف فقرر الإيقاع بشخص يوسف وبعض رفاقه فأرسل رسولاً إلى لأحد الحكام في فلسطين في ذلك الحين مزوداً برسالة ذكر فيها أن يوسف وجماعته جاؤوا إلى فلسطين لأسباب سياسية ومخلة في الأمن ، وحث الحاكم في الرسالة أن يقتنص من يوسف ومن كبار رفاقه ولحسن الحظ إشتم يوسف خبر المكيدة فأوصى جماعته أن ينكروا وجوده وتخفى وغيّر زيه ، وبعد أن تزودوا بما يحتاجونه قفلوا راجعين منتصرين ، وفي أثناء ذلك علم الشيخ خليل بأن مكيدته لم تنجح فعمد إلى الإيقاع بيوسف مرة أخرى عن طريق عربان الوحيدي القاطنة ما بين أراضي غور الكرك وفلسطين وذلك ليسلبوا يوسف وصحبه وما يحملون من غنائم ، غير أن هذه المكيدة لم تنجح أيضاً حيث أن عربان الوحيدي بعد أن استمعوا إلى حديث يوسف عن أسباب سفره الى فلسطين ووقفوا على تضحيته من أجل جماعته أكبروا فيه هذه الروح الطيبة وأكرموا وفادته تمشياً مع العادات العربية الأصيلة وأخلعوه لبسة الزعامة المكونة من عباءة وبرنس اعترافاً منهم بزعامته لعشائر الكرك دون غيره ، وعاد يوسف ورفاقه إلى بلاده عن طريق البحر الميت –الكرك وبعد بضعة أيام من عودته أقام وليمة كبيرة دعا إليها الشيخ خليل وأخاه غبن ووجوه وزعماء الكرك وبعد تناول الطعام قدم يوسف المجالي العباءة والبرنس الى الشيخ خليل تقديراً واحتراماً ، فعز على خليل أن يقبل هذه الهدية ( لبسة الزعامة ) بسبب الإساءة التي بدرت منه تجاه يوسف وعشائر الكرك وطلب تقديمها إلى أخيه غبن قاصداً من ذلك التشفي به لأنه هو الذي أوصى اليه بعدم مساعدة العشائر وكان السبب في لجوئهم الى يوسف والتقرب منه والتفافهم حوله واعترافهم بأنه أحق منه في زعامة الكرك إلا أن غبن لم يقبل الهدية وتأثر جداً وأعادها إلى صاحبها يوسف وبعد ثلاثة أيام توفي الشيخ خليل قهراً وبعد وفاته آلت الزعامة الى الشيخ يوسف بحق وبدون منازع .
وفي ذلك الوقت كانت قبائل بني حميدة تسكن الجهات الشمالية من الكرك ولم تزل محافظة على سيادتها وقوتها وفي هذه الاثناء عادت عشائر العمرو الى الكرك –والتف حولهم من بقي منهم وتحرشوا ببني حميدة لإعادة زعامتهم ومن جراء ذلك وقعت بينهم معارك شديدة كان نتيجتها أن تغلبت عشائر العمرو على عشائر بني حميدة ونتيجة لتقسيم الأراضي المكتسبة بين العمرو دب الخلاف بينهم وكاد يؤدي إلى قتال مرير ، وعند ذلك شعر بخطورة الموقف زعيم العمرو آنذاك ( غبن ثبيت ) فذهب الى الشيخ يوسف المجالي ورجاه أن يتوسط ويعيد بني حميدة الى الكرك لتعاد اليهم أراضيهم فضاً للخلاف الذي وقع بين عشائر العمرو .فلبى الشيخ يوسف الرجاء وأرسل الى زعماء بني حميدة يطلب اليهم العودة الى الكرك لأجراء الصلح مع العمرو ، فعادوا مطمئنين لأقوال يوسف وفعلاً تم الصلح وأزيلت الخلافات بين عشائر العمرو والحمايدة ن وإكراماً للشيخ يوسف على جميل صنيعه وهبوه الأراضي الواقعة ما بين ( المسن ) – الحد الفاصل ما بين أراضي بني حميدة وعشائر العمرو – و( رجم المسدح ) بقرب قرية القصر .